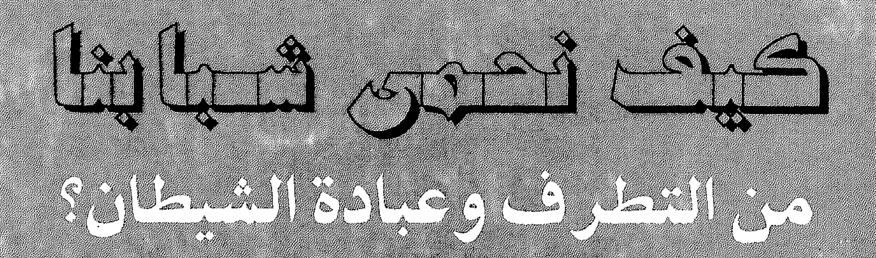


كيف نحمى شبابنا

من التطرف وعبادة الشيطان؟



المفكر الإسلامى
فتحى ابراهيم منصور



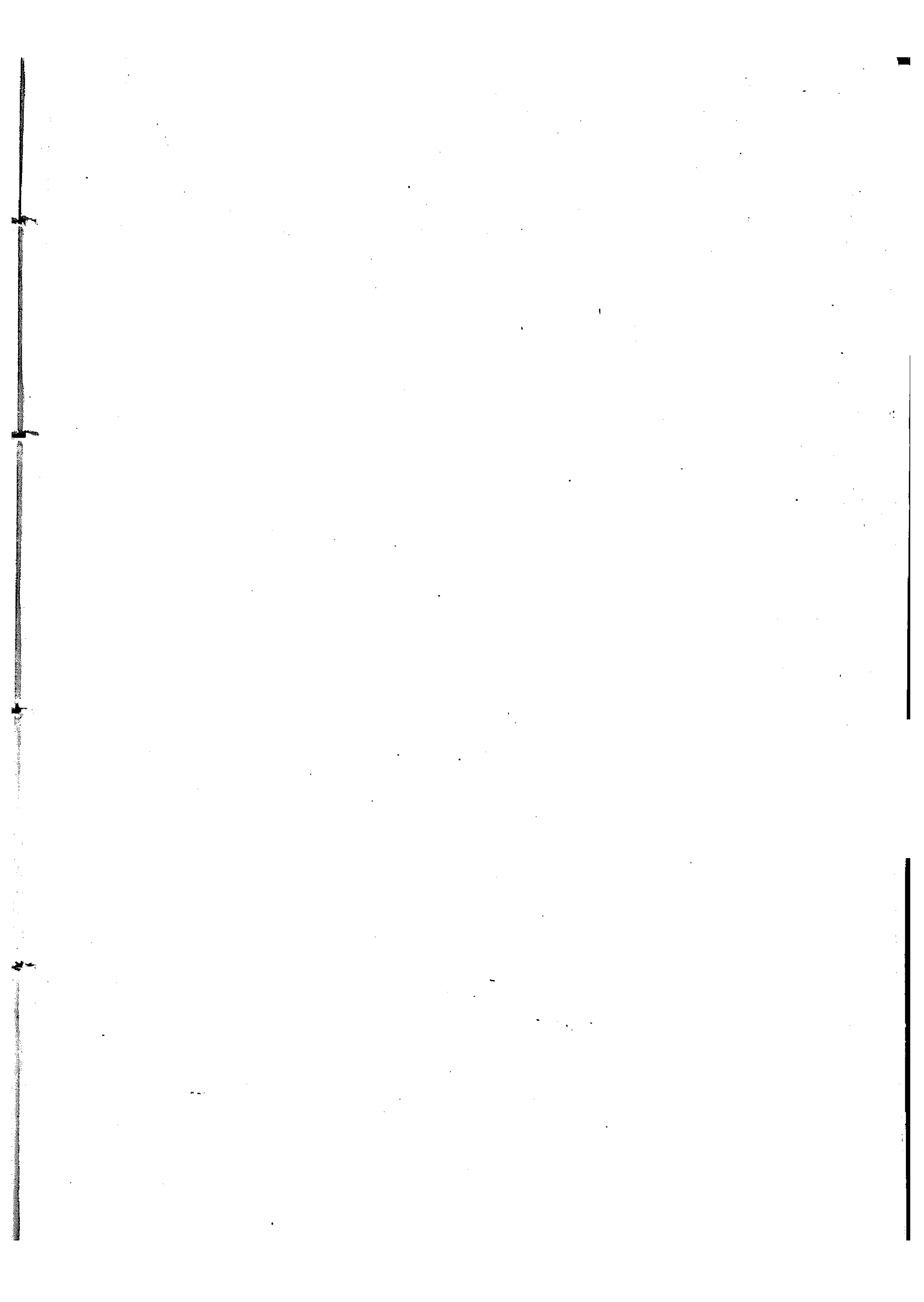
كيف نحمى شبابنا

من التطرف وعبادة الشيطان؟

المفكر الإسلامى
فتحى إبراهيم منصور

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

التصدير

الحمـد لله، اللهم ربنا لك الحمد بمـا خلقتنا ورزقتنا وهديتنـا وعلمتنا، لك الحمد بالإيمان، ولك الحـمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن. أسـجد لله شاكرا أن هدانى وعلمنى ووهبنى التوحـيد. وإنى إذ أكتب للمرة الأولى مقـدما هذا البحث للمشاركـة فى حملة التصدى للعدو اللدود للإنسـان، وهو الشيطان، الذى أغوى القلة لعبادته أعاذنا الله منه، أدعو الله أن يكون ما قدمت علما نافعا للمسلمين.

محاولاتى... وقد قصدت من وراء هذا البحث إلى أمور أربعة :

أولها : أن تكون كتابـتى من النسق الدينى المتريث فى تفكيره وفى تعـبيره، بحيث يتيسر فهمه للقارئ.

ثانيا : أن أشارك فى القضاء على عبادة الشيطان والأسباب المؤدية إليها.

ثالثا : أن أصحح بعض المفاهيم على أساس من المنهج الإسلامى القويم.

رابعا : أن أذكر من خلال هذا الكتاب القراء الكرام لاسيما الآباء بكتاب الله الذى شرح لنا أصول العقيـدة، وكان لنا المنهاج الهادى وسنة رسوله الأمين الذى جـاء للناس كافة وقدوة للـمسلمين، والذى كان البـعد عنهـما السـبب الرئيس لما حـدث من بعض شـبابنا بتـقليـد عبـدة الشيطان، وأحاول أن أوقظ هممًا أخاف أن تكون قد نامت، وأحيى عزائم معاذ الله أن تكون قد ماتت.

رجائى... تلك محاولاتى وأهدافى، فإذا كنت قد أصبت فذلك الفضل من

الله ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ . وإن كانت الثانية فإنما هى نفس وأستغفر الله، ورجائى من كل قارئ يطلع على عيب أن يدلنى عليه ويرشدنى إليه، فالدين النصيحة.

شكرى... وإنى مدين بالشكر لوالدى اللذين ربيانى على صحيح العقيدة والدين القويم، واهبا لهما ثواب ما كتبت، رحمهما الله برحمته الواسعة، وإلى الأم الذكية التى دعت لى بالعلم وحنت علىّ السيدة البارة زكية عبد المطلب رضى الله عنها.

وأدعو الله عز وجل أن يجزى عنى أستاذى الذى تتلمذت على يديه الكريمتين الأستاذ الدكتور محمود السيد شيخون عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالأزهر كل الخير لما قدمه لى من عظيم الجميل بأن أخذ بيدى ووضعنى على طريق التوحيد.

وشكرى الخاص وامتنانى لصديق طفولتى ورفيق عمرى الأستاذ أمين الخضرى صاحب دار النشر لما قدمه لى من مساعدات مع علمه بحداثة عهدى بالكتابة جمعنى الله وإياهما على حب الله فى الدنيا والآخرة.

وإنى لمدين ببالغ الشكر وسابغ الحمد لأولئك السادة العلماء الأماجد الذين طوقوا عنقى بجليل معاونتهم وتشجيعهم وجميل تقريظهم وتقديرهم

وإنى أحفظ بالإجلال والإكبار ما لقيناه من الدولة وأجهزة الأمن والإعلام من جهد وعرق للحفاظ على معتقدات بلدنا ودينها الحنيف وحماية شبابها رجال وقادة المستقبل.

المؤلف

المقدمة

أثارت قضية قيام قلة من شباب مصر بعبادة الشيطان متأثرين فى ذلك بشباب أوربا مقلدين إياهم، تساؤلات عديدة عن أهم الأسباب التى أدت إليها، هل هو فراغ فكرى؟ أو تفكك أسرى وانعدام رعاية؟ أو فكر منحرف وارد من الخارج؟ وسرعان ما هبت أجهزة الإعلام بجميع أنواعها منادية بحملة قومية لمواجهة هذا الخطر الداهم، وقام الجميع - حكومة وشعبا، كتابا وعلماء، مثقفين ومفكرين - بسرعة التصدى.

وللوهلة الأولى يتبين لنا أن هذه القلة من الشباب لا تعبر عن حقيقة الشباب المصرى بفكره وميوله، ولكن وضعهم حظهم العاثر بجهل للعقيدة السليمة وبُعد عن المنهج السلوكى القويم، وفى غياب الأسرة بين شقى رحى الفكر الحلاجى الصوفى ومقلديه وبين الفكر الدينى المتطرف، علاوة على الأموال الكثيرة التى توافرت لهم، والحياة المترفة، والحماية المستمرة من ذويهم لتصرفاتهم المخالفة للقوانين والمجاهرة، وذلك بالمال والسلطان.

الأمر الذى جعلهم غاية فى التسيب والاستهانة واللامبالاة وعدم الاكتراث بالمبادئ والقيم، مما جعلهم فريسة سهلة ولقمة سائغة لمروجى هذا الفكر، فكانت الفاجعة.

ولما كان الخطر الحقيقى يكمن فيما وراء هذا، وما قد يحدث من تصدع فى فكر شبابنا وعقيدتهم وازدياد عدد المُضللين، قامت جميع أجهزة الإعلام بتغطية الحدث، مجلية كل جوانبه، وكشفت الموضوع بكل أبعاده، والتيارات الفكرية التى كان لها الأثر المباشر فيه. وقد قرأت ما نشر، فدفعنى هذا إلى أن أقوم بعمل دراسة أكثر موضوعية وأعمق فكرا، محاولا الوصول إلى الجذور المعطوبة لأجتثها وأغرس مكانها طيبة لتنبت نباتا حسنا.

وقد أردت أن يكون تناولى للموضوع على مستوى البحث العلمى لتأصيله وتحليل أسبابه، محاولا فيما أكتب التوفيق بين مقتضيات البحث العلمى وبين رغبات جماهير القراء فى تقريب الأسلوب وتعبيد السبيل ما وسعنى الإمكان.

وقد دفعنى هذا إلى الإسهاب والتطويل، ولكنها تضحية ضئيلة بجانب تأدية الرسالة السامية فى وجوب الاتصال الدينى بالجماهير.

ومن ثم فقد قسم بحثى هذا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول

عبادة الشيطان والعقيدة الصحيحة

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : الشيطان وعداوته للإنسان.

المبحث الثانى : نشأة عبادة الشيطان.

المبحث الثالث : العقيدة الصحيحة.

المبحث الرابع : حرية العقيدة والفكر.

الفصل الثانى

التيارات الفكرية المعاصرة وأثرها فى عبادة الشيطان

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : الفكر الحلاجى الصوفى المنحرف.

المبحث الثانى : الفكر الدينى المتطرف.

المبحث الثالث : العلمانية ومادية العصر.

المبحث الرابع : المناداة بمساواة المرأة بالرجل على الإطلاق.

الخاتمة

وقد ضمنتها خلاصة هذا البحث، وما توصلت إليه من نتائج.

الفصل الأول

عبادة الشيطان والعقيدة الصحيحة

المبحث الأول : الشيطان وعداوته للإنسان.

المبحث الثاني : نشأة عبادة الشيطان.

المبحث الثالث : العقيدة الصحيحة.

المبحث الرابع : حرية العقيدة والفكر.

المبحث الأول

الشيطان وعداوته للإنسان

اختلف المفسـرون والشرَّاح فى تعريف الشيطان؛ لذكـره مع الملائكة فى أمر السجود لآدم. رأىٌ قال : كان إبليـس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السـموم، من بين الملائكة، وكان اسـمه الحارث، وكـان خازنا من خُزَّان الجنة، وخـلقت الملائكة كلهم من نور غيـر هذا الحى، وخلقت الجن الذين ذكروا فى القـرآن من مارج من نار، وهو لسـان اللهب الذى يكون فى طرفـها إذا ألهبت(١).

وقال بعـضهم : كـان إبليس قبل أن يرتـكب المعصـية من الملائكة، اسـمه عـزازيل، وكان من سكان الأرض، وكـان من أشد الملائكة اجـتهـادا، وأكثـرهم علما، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حى يسمُّون (جنا)(٢).

---

(١) وقال بهذا ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضـحاك عن ابن عـباس قـال ما ذكـرناه وقال: وخـلق الإنسان من طين فـأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعـضهم بعضا، قال فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة وهم من هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقـتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البـحور وأطراف الجبال فلما فعل إبليس ذلك اغتر فى نفسه فقال: قد صنعت شيئا لم يصنعه أحد قال: فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فـقال الله للملائكة الذين كانوا معه: إنى جاعل فى الأرض خليفة، فقالت الملائكة مجيبين له: أتجعل فيها من يفـسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وإنما بعـثنا عليهم لذلك، فـقال الله تعالى: إنى أعلم مـا لا تعلمون، يقول إنـى قد اطلعت على قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليـه من كبره واغتراره قال: ثم أمر بتـربة آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب، قـال ثم قـال الله تعـالى للمـلائكة الذين كـانوا مع إبليس خـاصـة دون الملائكة الذين فى السماوات: اسجدوا لآدم فـسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر لما كـان حدث نفسه من الكبر والاغترار فقال: لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتنى من نار وخلقته من طين يقول: إن النار أقوى من الطين قال: فلما أبى أن يسجد أبلسه الله، أى آيسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته ـ تفسير ابن كثير ـ جـ١ ـ ص٧٥.

(٢) وقال بهذا محـمد بن إسحاق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عبـاس قال: هذا وقال به فى رواية أخرى خـلاد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد عن ابن عـباس أو غيـره بنحوه ـ تفسـير ابن كثـير جـ١ ـ ص٧٧.

وقال البعض : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن. كما أن آدم أصل الإنس[1]، وإنى أميل إلى هذا الرأى لوجود نص صريح فى القرآن يفيد أن إبليس من الجن المكلفين لقوله سبحانه **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه....﴾** الآية[2].

لأنه لو كان إبليس من الملائكة ما عصى الله وكفر؛ لأن الملائكة مقهورون فى عبادتهم لا يعصون الله لقوله تعالى : **﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[3].

كذلك النص القرآنى فى قوله تعالى : **﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾**[4].

فكيف يكون إبليس من الملائكة ونص القرآن أنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، فى هذا دليل على اختلاف الجنسين، وهذا الجن مهما تعددت أسماؤه التى ذكرها الشُّراح وتكلم بها المتصوفة بعد ذلك، فإن أهم أسمائه التى ذكرت فى القرآن اسمان : إبليس وشيطان، ولهذين الاسمين أصل[5] أن إبليس لما عصى ربه ورد الأمر على الآمر وكفر بذلك واسترسل فى الكفر وأحب الضلالة على الهدى، يأس من رحمة الله لقوله تعالى : **﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾**[6].

ولو تدبرنا الآية ولفظ **﴿للرحمن عصيا﴾**، ولم يقل «لله عصيا»، يدل هذا على أن العصيان كان عدم اعتراف وتأكد من رحمانية ذات الله، فحين يذكر اسم

---

(١) بهذا قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عدى بن أبى عدى عن عوف عن الحسن: قال هذا وهذا إسناد صحيح عن الحسن، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سواء. وقال شهر بن حوشب: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء، رواه ابن جرير، وقال سنيد بن داود: حدثنا هشيم أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجن فسبى إبليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة يتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس فلذلك قال تعالى: **﴿إلا إبليس كان من الجن﴾** ـ تفسير ابن كثير ـ جـ١ ـ ص٧٧.

(٢) الكهف ـ الآية ٥٠.

(٣) سورة التحريم ـ الآية ٦.

(٤) سورة الأعراف ـ الآية ١٢.

(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ١، ص٧٥.

(٦) سورة مريم ـ الآية ٤٤.

الرحمن فهو يدل على الرحمة فقط، بل رحمة الذات السابقة على الأفعال والدالة على سبق رحمته لغضبه، أما اسم الله فهو يحتوى على جميع الصفات؛ لذلك فإن مؤدى مفهوم الآية أن إبليس يأس من رحمة الله، وهو بذلك يكون قد كفر؛ لأن اليأس من رحمة الله كفر لقوله تعالى : ﴿**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾[1].

لذلك لما كفر إبليس برده الأمر على الآمر، وأصر على كفره ليأسه من رحمة الله آيسه الله بيأسه فأبلسه فصار إبليسا[2]، ولما أصر واستكبر أبعده الله فصار شيطانا[3]، وهذان هما الاسمان اللذان ذكرا فى القرآن وأصلهما.

يتبين لنا أن عصيان إبليس كان كفرا وفسقا واستكبارا وإباءً ويأسا من رحمة الله، وكله يؤدى إلى الكفر فهو عصيان فى العقيدة.

أما عصيان آدم لربه كان فى التكليف بأن ارتكب فعلا منهيا عنه ثم اعترف بعصيانه ورجع إلى الله واستغفره هو وحواء عليهما السلام لقوله تعالى : ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[4].

فقبل الله توبة آدم واستغفاره، وتاب عليه، لقوله سبحانه: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾[5].

يتبين لنا أن عصيان إبليس كان برد الأمر على الآمر والاستكبار والفسوق وحب الضلالة على الهدى ثم اليأس من رحمة الله أن يغفر له ويرحمه فكفر بكل ذلك؛ وذلك لأن عصيانه كان فى العقيدة، أما عصيان آدم فكان فى التكليف نتيجة للفتنة والوسوسة والنسيان ثم التوبة.

نخرج مما سبق بمبدأين:

١ ـ العصيان فى العقيدة يؤدى إلى الكفر.

٢ ـ العصيان فى المنهج يؤدى إلى العذاب والعقاب.

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٨٧

(٢) لفظ إبليس من بلس أى أيس (انظر القاموس المحيط).

(٣) لفظ شيطان أصله فى اللغة شطن أى أبعد (القاموس المحيط)

(٤) سورة الأعراف ـ الآية ٢٣

(٥) سورة البقرة ـ الآية ٣٧

من هذا التباين في موقف الجنسين المكلفين تتضح لنا أهمية العلم بالعقيدة الصحيحة والعلم بالله، وأن هذا الموقف هو سبب عداوة الشيطان للإنسان، فمنذ بدء عداوته كان لئيمًا لضعفه فسلك سبل الخداع والمكر وغفلة الإنسان عن المنهج الذي أمره الله تعالى باتباعه كي لا يضل ودخل من مدخل عزة الله واستمسك بها أي بعدم احتياجه لأي عبادة واستعلائه تعالى عن كل هذا لقوله تعالى: **﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾**[1] واختار القلب والعاطفة للوسوسة عن طريقهما لقوله تعالى: **﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس﴾**[2] وكما نعرف فإن القلب في الصدر، وهو الذي تكون به البصيرة والتي هي أقوى من البصر لقوله سبحانه: **﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو ءاذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**[3] ومعنى قلوب يعقلون بها، أي يعتبرون بها والبصيرة أي ليس العمى عمى البصيرة إن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر[4].

ذلك لأن البصيرة لا تعمى إلا ببعد القلب عن الإيمان وهذا هو دور العقيدة، فإذا ابتعد القلب عن الإيمان أظلم ولا يتبصر وبالتالي يكون غير معتبر وهنا يسهل الإغواء والزلل؛ لأن الوسوسة للعقل قد تواجه بتحرك العقل الذي مهمته التمييز بين الخير والشر فيوجه الإنسان إلى المنهج كما وأن العاطفة في القلب والعاطفة هي التي تحرك الشهوات.

لذلك نجد أن تواجد عبادة الشيطان بعد الرسالات كان عن طريق بعض أهل الصوفية الذين أعملوا عاطفة القلوب المظلمة لبعدها عن أركان الإيمان وأسسه وبالتالي البعد عن المنهج. الأمر الذي أدى إلى غياب العقل الذي يميز ويدرك فتسلط الشيطان وأغوى من غير أن يجد أي مقاومة.

---

(١) سورة (ص) الآيتان ٨٢، ٨٣.

(٢) سورة الناس.

(٣) سورة الحج - الآية ٤٦.

(٤) انظر تفسير ابن كثير - سورة الحج الآية - ٤٦، ص٢٢٧.

نستنتج مما سبق أن الشيطان يتربص بالإنسان حتى يبتعد بالمعاصى عن اكتمال الإيمان ويبتعد باللهو والانشغال عن معرفة العقيدة وينشغل عن اتباع منهج الله فلا يكون للعقل هنا مجال للعمل فيدخل الشيطان ويسيطر بسهولة ويزين المعاصى ويشبه الأمور ويستفز الإنسان ويغويه وذلك لقوله تعالى: ﴿**قال أنظرنى إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾(١).

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله سبحانه: ﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم**﴾ أشككهم فى آخرتهم، ﴿**ومن خلفهم**﴾ أرغبهم فى دنياهم، ﴿**وعن أيمانهم**﴾ أشبه عليهم أمر دينهم، ﴿**وعن شمائلهم**﴾ أشهى لهم المعاصى(٢).

وورد حديث النبى ﷺ: «أن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم قال فقعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وهاجر» وقال ﷺ: «فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة»(٣).

وقوله تعالى: ﴿**قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين**﴾(٤) وهو فى كل الأحوال يستغل فى الإنسان شهواته، وبعده عن العقيدة السليمة، وانصرافه بأمور دنياه عن منهج الله والذى يكون فيه الإنسان فريسة سهلة له.

وعلى خلاف ما سلف فإنه لا سلطان له على الطائعين العارفين بالعقيدة الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله لقوله تعالى: ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**

---

(١) سورة الأعراف - الآيات ١٤ - ١٧

(٢) تفسير ابن كثير ص٤ ٢ حـ١

(٣) تفسير ابن كثير ص٤ ٢ حـ١

(٤) سورة الحجر - الآية ٣٩

إلا من اتبعك من الغاوين﴾[1] أى الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول إليهم وهؤلاء العباد وصفهم الله فى قوله تعالى **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله إلـه آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾**[2].

وما دامت هذه أساليب الشيطان فى الوسوسة علينا لنعرفه أن نقارن ما نريده بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن وافقهما فلا شيطان وإن خالفهما عرفنا أنه الشيطان يوسوس.

أغلب الظن أن وصف بعض الشراح والمفسرين له أنه من الملائكة ويعيش معهم وأنه من أعبدهم هو الذى دعا بعض المتصوفة الذين أطلقوا خيالاتهم بعيدا عن العقيدة والعلم بالله إلى الظن بأنه موحد ومتفرد فى عشقه؛ لأن الخيال يسيطر فى الصوفية أكثر من الشريعة باعتبار أن تخيل الشىء هو أساس إيجاده فسيطر عليهم لفظ الحقيقة فبدءوا بذلك تمجيده وعبادته.

---

(١) سورة الحجر ـ الآية ٤٢.

(٢) سورة الفرقان ـ الآيات (٦٣ ـ ٦٨).

المبحث الثانى

نشأة عبادة الشيطان

عبادة الشيطان موجودة منذ أن خلق الله آدم وأنزله إلى الأرض ومعه الشيطان أعداء لبعض وذلك لقوله تعالى ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا**﴾(١) ولكى تعرف كيف نشأت هذه العبادة نستعرض واقع الإنسان الذى عاشه منذ أن خلق الله آدم حتى الآن والفترات التى مر بها الإنسان وكيف فكر وإلى أين وصل بعقله.

لقد خلق الله الإنسان مختارا فى عبادته غير مقهور وكفل له حرية الاعتقاد والإيمان لقوله سبحانه: ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾(٢).

وهيأ الإنسان لذلك فخلق جوارحه صالحة لفعل الخير والشر مسخرة لإرادته إن شاء آمن وإن شاء كفر، وإن شاء وحد وإن شاء أشرك، وإن شاء أطاع وإن شاء عصى، وبين له الحق من الباطل فقال سبحانه: ﴿**وهديناه النجدين**﴾(٣).

وخلق له العقل ليفكر فى الأمور والأشياء ويدرك ويستنبط يميز بين البديلات ليختار بينها وعلمه البيان، أى تبيين الأمور وتوضيحها لقوله تعالى: ﴿**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان**﴾(٤).

ثم ترك الإنسان لعقله دونما تدخل من الله سبحانه ليتفكر فى خلق السماوات والأرض وفى خلق نفسه ليصل إلى معرفة خالق الكون وخالق كل شىء وهو الله فما كان من الإنسان إلا أن عرف أن للكواكب قوة غير عادية فعبدها ثم عبد القمر والشمس والرياح والشيطان لهذا السبب وهو القوة غير العادية، ومن هنا بدأت

---

(١) سورة مريم ـ الآية ٤٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦.

(٣) سورة البلد ـ الآية ١

(٤) سورة الرحمن ـ الآيات ١ ـ ٤.

عبادة الشيطان ولم يهتد الإنسان إلى مصدر هذه القوى فصنع التماثيل والأصنام وجعلها رمزا لهذا المصدر الخفى وعبدها لتقربه إلى هذا المصدر وهو الله وقد قال الله سبحانه على لسان من يعبدون الأصنام: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾(1).

ومن معايشة هذا الواقع نخرج منه بالآتى:

أن العقل حين عمل وحده بدون منهج يهديه وأطلق له العنان فى التفكير وصل إلى عبادة غير الله ولم يهتد إلى الله ولم يعرفه، وهذه كانت المرحلة الأولى من حياة الإنسان عبد فيها الشيطان والأصنام وغيرها من مخلوقات الله.

ثم أنزل الله رحمته على الإنسان بإرسال الرسل متعاقبين لأقوامهم وأيدهم بمعجزات وهى قوى خارقة للعادة كالتى كانت لهذه المخلوقات التى عبدها الإنسان ولكن الرسل جميعا - وهم بشر من جنس الإنسان - تكلموا على خلاف الشمس والقمر والأصنام فقبل أن يعبدهم الإنسان عن طريق عقله كما سبق وفعل أخبروا أقوامهم بأنهم رسل من قِبَل الله وهو مصدر هذه القوى وقد أيدهم بها ليصدقهم الناس ورفض الجميع أن يَعبدهم أحد بل أقروا جميعا بأنهم عبيد وعباد الله وأنه خالقهم، كما أنه سبحانه خالق كل شىء وأخبروا أنهم ما أرسلوا إلا ليقولوا للناس كافة أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وبينوا للناس كيف يعبدون الله فكان لكلِ رسول شرعة ومنهاج من الله يبلغه لقومه وفيه عرَّف الله ذاته وصفاته وأفعاله وبيِّن لهمْ الأدلة على وجوده سبحانه ووحدانيته وخلقه للسماوات والأرض وجميع المخلوقات وهيمنته على الجميع متحديا أى مخلوق أن ينازعه ملكه وملكوته ولم يستطع أحد ذلك ولم يجرؤ عليه مما أكد وجود الله وألوهيته وحده.

وقد أمر الله الناس من خلال هذه الرسالات بعبادته وحده وطاعته وحده وإخلاص العبادة له وحده وكلف الناس بأوامره ونواهيه وبسلوك قويم فى المعاملات.

وحين أعمل الإنسان عقله مهتديا بكتب الله السماوية ومستعينا برسله ومقتديا بهم وصل إلى معرفة الله وعبده وحده دون غيره فتغيرت المعتقدات والأفهام وبذلك رسخ الإيمان وتعمق فى قلوب الناس.

---

(1) سورة الزمر - الآية 3

لذا لو عدنا إلى بداية الإسلام نجد أن الأمة الإسلامية تكونت من كفار ومشركين وكتابيين كانوا متفرقين ولما عرفوا العقيدة الصحيحة وهى لا إله لا الله والكتاب السماوى وهو القرآن مقتدين بالرسول ﷺ مطيعين له توحدوا على الدين والإسلام ثم هم درسوا العقيدة وفهموها فهما جيدا ورسخوها فى قلوبهم لذلك كان إيمانهم قويا شديدا لم يضل أحد منهم ولم يرتد؛ لأنهم تحصنوا بالعقيدة الصحيحة التى فهموها وعرفوا حقيقتها وهذا ما يميزهم عنا فنحن نعرف العقيدة والدين اسما فقط لا معنى وحقيقة فكان منا الضالون والمرتدون والمشركون.

وبهذا يكون الإنسان فى المرحلة الثانية قد عرف الله بالله بكتبه ورسله عندما تفكر بعقله مهتديا بهذه الكتب السماوية بمساعدة الرسل لذلك كان قوله سبحانه: **﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾**[١].

لكن وبعد أن أرسل الله الرسل بالرسالات السماوية وبعد أن عبده الناس جنح البعض إلى العاطفة والخيال والخرافات بعيدا عن العقل.

ومنهاج الله الهادى والواقى بحجة الترقى وإظهار حب الله والإيمان به بالعواطف مطلقين العنان للعقل فى الخيال فدخل إليهم الشيطان من مدخله وهو البعد عن منهج الله وأضل عقولهم وسيطر على فكرهم ونفذ عداوته فيهم لبعدهم عن العقيدة الصحيحة وعن الدين والمنهج فصور لهم أنه مظلوم ودخل لهم الشيطان من قول الله سبحانه: **﴿قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾**[٢].

أى أن الله هو الذى أغواه وأضله ولم يكن هو يريد هذا فأبى التصور الأسطورى للعقل البشرى لبعض المتصوفة إلا أن جعل الشيطان موحدا لأنه رفض السجود لغير الله، كما أن الشيطان يرى أنه كان مجبورا على الغواية؛ لأنها حدثت من الله وهو سبحانه الذى أغواه ولم يطلب الشيطان الغواية لنفسه[٣].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٥.

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١٦

(٣) وهم متأثرون فى ذلك بالفكر الحلاجى الصوفى الذى جعل إبليس أستاذ الموحدين وهذا ما سنعرض له فيما بعد بالتفصيل علاوة على قول ابن إساس فى كتابه الشعبى (بدائع الزهور) يؤكد أن الشيطان

ومن هنا عادت عبادة الناس للشيطان بعد الإيمان بالله، وكل هذا الفكر المنحرف ناتج من إعمال العقل فى الخيال والخرافات بعيدا عن العقيدة الصحيحة والقرآن الكريم وهو منهاج الله فليس أقدّر من الخالق على وصف مخلوقاته وتبيين أسرارهم ولنا تفصيل فى مواجهة هذا الفكر فى الفصل الثانى.

ومما تقدم سرده نستنبط بعض الأسس التى يجب أن تنير لنا الطريق ونهتدى بها فى قضيتنا وهى:

١ ـ أن إعمال العقل وحده بدون عقيدة سليمة ومنهج إلهى يؤدى بالإنسان إلى البعد عن الله وعبادة غيره.

٢ ـ أن إعمال العقل فى العقيدة السليمة وهى لا إله إلا الله وفى إطار منهاج إلهى يسترشد به العقل يصل الإنسان إلى معرفة الله وعبادته عن حق ومعرفة

=شارك فى إبداع هيئة آدم وشكله ولو بقدر يسير عند بداية الخلق، فعلى الرغم من أن الله وحده سبحانه هو الذى خلق آدم من تراب وفق معطيات الدين الإسلامى إلا أن سرة بطن آدم جاءت نتيجة ضربة من ضربات الشيطان ليعرف إن كان مجوفا أو مصمتا.

وقد تأثر شعراء الفارسية بالفكر الحلاجى الصوفى وخاصة المتوصفة منهم وأبدعوا بشعرهم فى تمجيد الشيطان وقد نقل بعض المتصوفة هذا الفكر الحلاجى إلى العراق وتلقفه جماعة هناك تسمى اليزيدية الذين يعيشون فى احد الأودية العراقية بل أجملها. والذين يؤمنون بالله الواحد ولكنهم يعتقدون أن الله سبحانه خلق سبعة آلهة آخرين لإدارة شئون هذا العالم والعجيب أن من بين هذه الآلهة يزيد بن معاوية الذى ينتسبون له ولكن الأهم ان على رأس هؤلاءهو إبليس الذى يرون أن معتقدى الديانات الأخرى ادعوا عليه بالباطل وزعموا أن الله لعنه لعنة أبدية يدافعون عنه ويرون أنه اختص باليزيدية قبلهم إليه ويطلقون عليه أسماء عديدة منها طاووس ملك وعزازيل وكاروبيم وتادوسا وتسربت فكرة الشيطان إليهم من بعض المتصوفة ولكنهم زادوا عليها أعتقادهم بألوهيته فعبدوه رغم عبادتهم لله وقد حاولوا تبرير عدم سجود إبليس لآدم بقولهم أنه لم يكن عاصيا بل كان من اشد المطيعين المتفانين فى صحبة الله مما جعله يرفض السجود لغيره ويرددون سطورة مفادها أن الله تعالى عندما خلق السماوات والأرض سلم مفاتيح الخزائن إلى طاووس ملك وأوصاه أن يفتحها إلا خزانة واحدة غير أن الأخير فتحها ذات يوم فوجد فيها ورقة مكتوبا عليها (لله إلهك تسجد وله وحده عبد) فاحتفظ بها وعندما خلق الله آدم وأمر طاووس ملك بالسجود له أبى فالح عليه سبحانه إلا ان طاووس ملك اصر على عدم السجود عندئذ ساله الله تعالى عن سبب الامتناع فأخرج له الورقة فسأله تعالى أفتحت الباب الذى نهيتك عنه وأجاب الأول نعم قال تعالى (هرة الطوقى) وهى عبارة كردية معناها اذهب إلى الطوق وهو طوق حديدى يضعه الله تعالى فى عنق من يغضب عليه ثم وجد الله تعالى أن حجة طاووس ملك قوية وأنه كان بفعله ممتثل لأمره فرضى عنه وأرجعه إلى السماء سلمه مقاليدها ويعبر الزيدية عن ذلك فى الفصل الخامس من كتابهم المقدس (مصحف ورش) ويفسر اليزيديون معتقدهم بأنه لا يمكن أن يغضب والد على ولده ويطرده إلى الأبد.

ارجع إلى أخبار الأدب فى ١٦ فبراير ١٩٩٧ مقالة الدكتور محمد محمد يونس ومقال أسرار اليزيدية فى العراق تحقيق إيهاب الحضرى.

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦.

وبدراسة المنهج ترسخ العقيدة والإيمان فى نفوس الناس وتكون لهم الواقى من الضلال والردة.

٣ ـ أن إغفال العقيدة الصحيحة بعد الإيمان والبعد عن المنهج الإلهى والتحصن بهما واللجوء إلى العقل بمادية صرفة أو بالخيال والخرافات يعود الإنسان إلى الشرك والكفر وهذا ما حدث لبعض سالكى سبل العلم بدون عقيدة فقد ألحدوا بعلمهم وحده ومن اتبعوا الخيال وحده فقد ضلوا.

٤ ـ لابد على الإنسان الارتباط بالله للنجاح والفلاح وفى البعد عنه سبحانه هلاك للإنسان لذلك فقد وضع الله الأساس فى القرآن بقوله سبحانه: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾[(١)].

وحدانية الله

لما كان الشرك بالله وتعدد الآلهة كما كان فى الأزمان الماضية والآن هو وليد الجهل بالتوحيد ومعناه الحقيقى فإن كل شىء فى الكون يدل على وحدانية الخالق وهو الله.

أولا ـ فى تعدد الرسل والأنبياء دليل أكيد على وحدانية الله لا تعدد الديانات. فكون الرسل يرسلون من قِبَل الله متعاقبين برسالات من الله كل منهم يعلن عن عنوديته لله وأنه هو صاحب القدرة والمرسل ويطلبون منا عبادته سبحانه هذا دليل على وحدانية الله لأنهم جميعا عملوا وجاهدوا من أجله سبحانه.

ثانيا ـ أن كل العبادت التى ذكرت فى الماضى للشمس والقمر والرياح والشيطان وخلافه وتصور وجود آلهة للشر والخير والرياح والأمطار وتصارع هذه الآلهة كانت عبادتهم لها لوجود صفات خاصة وقدرات خارقة لهذه المخلوقات.

لذلك فلو توحدت هذه الصفات والقدرات فى ذات واحدة أعلنت عن نفسها وتحدت الجميع لكان هذا هو الإله الواحد.

ومن هنا كان التوحيد وهو جمع كل الأشياء فى شىء واحد أو كل الأسماء فى اسم واحد أو كل الصفات فى ذات واحدة.

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٢٢.

ولو تدبرنا القرآن لوجدنا أن الله أعلن عن هذا، فجمع كل ما تصورنا من آلهة فى ذاته والغنى الجميع وأعلن عن ذلك فى قوله: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**[١]. وقد جمع كل الطاعات فيه هو فقال: **﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾**[٢] فقد أعلن الله هنا عن ذاته ووحدانية ألوهيته وكلف الناس متحديا **﴿أن أنذروا أنه لا إله لا أنا فاتقون﴾**[٣].

وقد جمع سبحانه كل الأسماء والصفات فى ذاته فى قوله سبحانه: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**[٤] وقد جمع كل الصفات فى ذاته لقوله سبحانه: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾**[٥].

وبذلك يكون الله قد جمع موجبات العبادة فى ذاته وكأنه يقول للناس كافة لو أردتم العبادة من أجل الاسم فكل الأسماء تجمعت فى الله، وإذا أردتم العبادة لصفة من الصفات فكل الصفات تجمعت فى الله، وإذا أردتم العبادة لقدرة من القدرات فإن جميع القدرات قد تجمعت فى الله.

وإذا تصورتم أن الخير والشر والنور والظلام يتصارعان لتصارع من يملك الصفة مع الآخر فإن الله له صفة الشيء وضده ويجمع بين الضدين فى الصفة والقدرة فهو الأول والآخر والظاهر والباطن والقابض والباسط والرحيم والمنتقم لذلك فكل شيء وكل أمر راجع إليه.

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾[٦].

---

(٢) سورة طه ـ الآية ١٤.
(٣) سورة النحل ـ الآية ٢.
(٤) سورة الإسراء ـ الآية ١١٠.
(٥) سورة الحشر: ـ الآيات ٢١ ـ ٢٤.
(٦) سورة الروم ـ الآية ٤.
(١) سورة الطلاق ـ الآية ٣.

﴿إن الله بالغ أمره﴾[1]

﴿بل لله الأمر جميعا﴾[2].

﴿قل إن الأمر كله لله﴾[3].

﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾[4].

وقد أرسل الله الرسل للناس كافة بهذه التعليمات والتحديات والإعلان عن وحدانيته وتوحيد كل خيالاتنا وتصوراتنا فى ذاته ليكون هو الإله الواحد وبما أنه لم يتحداه أو ينازعه فى ملكه أو فيما أخبر أى إله آخر رغم تحديه سبحانه ويرسل برسل أو رسالات كما فعل الله.

وما دمنا قد اهتدينا إلى هذا بواسطة الرسل المؤيدين بمعجزات من الله فعلينا أن ندرس معجزات هؤلاء الأنبياء للتأكد من نبواتهم والإيمان بوجودهم ورسالاتهم وذلك للبعد عن الخيالات ومعرفة الحقيقة حتى لا نضل، ومن هنا فقد وجب على كل إنسان يريد أن يتيقن ويكون إيمانه راسخا ثابتا وحتى يتحصن ضد الشيطان أن يتأكد من معجزة نبيه ولنا فى سيدنا إبراهيم أسوة حين قال القرآن على لسانه: **﴿قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾**[5] وقوله سبحانه **﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾**[6] والتيقن الذى فيه اكتمال الإيمان هو فى معرفة حقيقة المعجزة المؤيدة والتى هى من الله.

وإذا كانت هناك كتب قد تكلمت عن التوحيد فلا أصح من القرآن فى ذلك للأسباب الآتية:

١ ـ جميع الكتب والرسالات الموجودة بين أيدينا ليس لها معجزات دالة على صدقها وعلى من يملك ذلك فليقدم المعجزة.

---

(٢) سورة الرعد ـ الآية ٣١.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٤.

(٤) سورة هود ـ الآية ٤٣.

(٥) سورة البقرة ـ الآية ٢٦

(٦) سورة الأنعام ـ الآية ٧٥.

٢ ـ لا يصدق نبى فى نبوته إلا بالمعجزة التى أيده بها الله ونحن لم نر معجزات الأنبياء السابقين جميعهم فكيف نؤمن بمن لم نر معجزته إلا من خلال القرآن.

٣ ـ أننا جميعا لم نر الملائكة ولا الجن حتى نتكلم عنهم.

٤ ـ أن اعترافنا بالرسل والأنبياء والملائكة والجن وجميع الغيبيات كان من خلال القرآن الكريم وأقوال سيدنا محمد ﷺ.

٥ ـ أن المعجزة المؤيدة لرسول الله ﷺ هى القرآن الكريم علاوة على أنه المنهج الهادى، وقد بين القرآن كل شىء ولم ينس شيئا أو يفرط فيه لقوله تعالى: **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾**.

وما دام القرآن الكريم هو الحجة التى فى أيدينا تثبت ما مضى وما نحن فيه وما سيأتى.

أوجب ذلك على العلماء المسلمين عمل دراسات مستفيضة لبيان وإثبات إعجاز القرآن لتأكيد نبوة سيدنا محمد ﷺ وتأكيد كل ما فيه وتخليص الناس من كل الخرافات والشرك الموجود الآن لذلك فإننا أمة دعوة.

وإعجاز القرآن يكمن فى الآتى:

أ ـ القرآن معجز لغة ونظما وبلاغة.

ب ـ القرآن معجز فى قصصه عن الأقوام السابقة.

جـ ـ القرآن معجز فى إخباره عن المستقبل وما هو آت ليس لإثبات علم الله بالغيب والمستقبل فقط ولكن للتدليل على هيمنة الله على كل الأمور فإذا أخبر يحقق ولا قدرة لأحد فى منع أوامره دليل وحدانية قدرته.

د ـ القرآن معجز فى إخباره عن الآيات الكونية فلا تعارض بينه وبين العلم بل الاكتشافات العلمية هى من أدلة معجزة القرآن ووحدانية الله سبحانه.

وعلى علماء المسلمين توظيف الاكتشافات العلمية فى إثبات الإعجاز بالبحث عن النصوص التى أشارت إليها فكل اكتشاف علمى والوصول إلى آية من آيات الله الكونية ومعرفة سرها ونجد لها ذكر فى القرآن هو دليل على أن الله قد

أشار إلى ذلك، علاوة على تأكيد علمـه بهذه الأسرار ولا يعلم أسرار الأشياء إلا صانعها وخالقها وعلى من يملك معجزة أو يعرفها ولها دلالة على عقيدة أو منهاج فليقدمـها ويبينها. فحرية العـقيدة مكفولة وحرية الفكر مكفـولة وكل سيؤدى فى النهاية إلى الحقيقة وهذا واجب على بنى الإنسان لأننا الآن كلنا ندين بدين آبائنا لا بالعقيـدة والإيمان الراسخ وهو الناتج عن الدراسة والتفكر والتـدبر لذلك كان قول الله سبحانه: ﴿**كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون**﴾[1].

(١) سورة البقرة - الآية ٢١٩

المبحث الثالث

العقيدة الصحيحة

العقيدة الصحيحة هى (لا إله إلا الله)[1] أى لا معبود بحق ولا مطاع بحق إلا الله ولها شروط ومقتضيات.

شروط لا إله إلا الله:

يشترط لرسوخ العقيدة وعبادة الله عن حق وتيقن أن نعرف الله سبحانه وتعالى وذلك على النحو التالى:

أ ـ العلم بذات الله.

ب ـ العلم بصفات الله.

جـ ـ العلم بأفعال الله.

أ ـ ذات الله:

١ ـ معرفة وجود الله سبحانه.

٢ ـ العلم بأن الله قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول.

٣ ـ العلم بأنه سبحانه مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر.

٤ ـ العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز.

٥ ـ العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر.

٦ ـ العلم بأنه سبحانه ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محل.

٧ ـ العلم بأن الله منزه الذات عن الاختصاص بالجهات.

٨ ـ العلم بأنه سبحانه مستو على العرش بالمعنى الذى أراده الله تعالى.

---

(١) إحياء علوم الدين كتاب قواعد العقائد، جـ١، ص١٠٤ ـ ١١٦ للإمام أبو حامد الغزالى.

٩ ـ العلم بأنه سبحانه إن لم ير فى الدنيا فإنه يرى فى الآخرة.

١٠ ـ العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والإبداع واستند بالإيجاد والاختراع.

ومن الأدلة القرآنية على وجود الله قوله سبحانه: ﴿ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * وبنينا فوقكم سبعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾[٣] وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء.

وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾[٤].

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[٥].

ب ـ صفات الله:

١ ـ العلم بأن صانع العالم قادر.

٢ ـ العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات.

٣ ـ العلم بأنه سبحانه حى فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته.

٤ ـ العلم بأنه تعالى مريدٌ لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئة وصادر عن إرادته.

---

(١) سورة النبأ ـ الآيات ٦ ـ ١٦.

(٢) سورة نوح ـ الآيات ١٥ ـ ١٨.

(٣) سورة فصلت ـ الآية ١١.

(٤) سورة القيامة ـ الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٥) سورة الأنبياء ـ الآية ٢٢.

٥ ـ العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه دبيب النمل.

٦ ـ أنه سبحانه متكلم بكلام.

٧ ـ أن الكلام القائم عنده قديم وكذا جميع صفاته فلا يدخل تحت التغير.

٨ ـ أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته.

٩ ـ أن إرادته قديمة وهى فى القدم تعلقت بأحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى.

١٠ ـ أن الله تعالى عالم بعلم حى بحياة قادر يقدره ومريد بإرادة وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة.

والآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:

﴿وهو على كل شىء قدير﴾(١).

﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾(٢).

﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض﴾(٣).

جـ ـ أفعال الله:

١ ـ العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه.

٢ ـ أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب، فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه ليست بكسب له، وأما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه.

٣ ـ أن فعل العبد وإن كان كسبا له فلا يخرج عن كونه مراد الله سبحانه.

٤ ـ أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطوّل بتكليف العباد.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٢٠.
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٥.
(٣) سورة سبأ ـ الآية ٢.

٥ ـ أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف العباد ما لا يطيقونه لقوله تعالى: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾[1] ولكن من رحمته لم يكلفنا إلا ما فى وسعنا.

٦ ـ أن لله سبحانه إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سبق ومن غير ثواب لاحق.

٧ ـ أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فهو الأعلم بما يصلحهم.

٨ ـ أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل.

٩ ـ أنه لابد من بعث الأنبياء للتصديق عن طريق معجزاتهم؛ لأن العقل لا يهدى إلى الأفعال المنجية فى الآخرة ولا يهدى بدون منهج.

١٠ ـ أن الله سبحانه أرسل سيدنا محمدًا ﷺ خاتمًا للنبيين وناسخًا لما قبله من شرائع وأيده بالمعجزات الظاهرة والقرآن الكريم.

وأهم ما يميز ذات الله أنها رحمانية لقوله سبحانه: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**[2].

وما دامت الذات رحمانية والذات تسبق الأفعال فرحمته تسبق غضبه لذلك كان الحديث القدسى «ورحمتى سبقت غضبى».

وأهم ما يميز صفاته أنها وصف له سبحانه من صفات قديمة فهى ليست حادثة.

وأهم ما يميز أفعاله سبحانه أنها مطلقة فالفعل لابد له من قدرة وزمن، وقدرة الله غير محدودة لكونه سبحانه غير محدود وبالتالى فالزمن يكون متلاشيا لذا فإن أمره بين الكاف والنون لقوله سبحانه: **﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾**[3].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٦

(٢) سورة الإسراء ـ الآية ١١٠.

(٣) سورة النحل ـ الآية ٤٠

مقتضيات لا إله إلا الله:

بعد أن عرفنا الله وتحققنا من ذاته وصفاته وأفعاله وأنه سبحانه الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء والرازق والآجال بيده وأمرنا بيده وجب علينا أن نعبده وحده ونطيعه وحده ونوحده بأفعالنا فلا ندعو إلا إياه ولا نطلب المساعدة إلا منه النذر له والنحر له والعمل خالص لوجهه.

وفى الشروط توحيد الربوبية، أى توحيد بأفعال الله سبحانه.

وفى المقتضيات توحيد الألوهية أى توحيده بأفعالنا نحن[1].

بعد المعرفة بالعقيدة الصحيحة وانطلاقا منها نحدد الأسس التالية التى تكون منارة لنا وهى:

١ ـ أن الفكر الإنسانى لابد أن يكون محدودا بالعقيدة وفى إطارها ولا يُطلق العنان للعقل فى ذلك وإلا ضل.

٢ ـ أن استنباط الأحكام الشرعية وفهمها وكيفية تنفيذها لابد أن يكون فى إطار المعرفة بصفات ذات الله.

٣ ـ لابد من معرفة أنواع الكفر والشرك الذى يخرج من الملة طبقا للقرآن الكريم لقياس أعمال الناس عليها حتى لا نكفر بالباطل.

أولا ـ الفكر الإنسانى فى إطار العقيدة الصحيحة:

إذا آمن الإنسان بالله سبحانه وعبده فلا حرية للعقيدة بعد ذلك؛ لأن الإنسان أقر والتزم بإرادته بأنه (لا إله إلا الله).

لذا فإن الفكر الإنسانى بعد ذلك لابد وأن يكون فى إطار لا معبود أو مطاع بحق إلا الله، وقد أكد الله ذلك بوضع منهج للإنسان وهو الكتاب السماوى هو القرآن الكريم فى الإسلام فإذا خرج الفكر عن المنهج الإلهى ضل وغوى وأشقى الإنسان لذلك قال سبحانه:

﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾[2] وفى هذه

---

(١) مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص٧ ـ ٨.
(٢) سورة طه ـ الآية ١٢٣.

الآية أمر من الله باتباع هذا المنهج ونحن نُعمل الفكر لقوله سبحانه: **﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾**[1].

ثانيا ـ فهم الأحكام الشرعية فى إطار العلم بذات الله:

لكى نعرف الغرض من الأحكام وحقيقتها لابد أن نسترشد ونحن نستنبط الأحكام الشرعية بالعلم بذات الله وصفات ذاته.

أهم ما يميز ذات الله أنها رحمانية فاسم الرحمن يدل على ذات الله كما سبق وبينا.

وما دامت الذات تسبق الأفعال فإن رحمة الله تسبق غضبه. لذا فإن الله إذا أراد أن يعذب إنسانا فإن رحمانية ذاته تسبق عذاب فعله وهنا تتولد التوبة لذلك فإن الله دائما يحض الإنسان على التوبة ليغفر له الذنوب قبل أن يعذب إلا إذا أصر الإنسان على المعصية وجاهر بها وأقيمت عليه البينة، ومن رحمة الله أنه سبحانه لا يمل من دعاء الإنسان لذلك قال سبحانه: **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾**[2].

وقول النبى ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا»، فالله لا يمل من الاستغفار والدعاء حتى يمل الإنسان منهما، وقوله سبحانه: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**[3].

لذلك فإن رحمانية ذات الله أضفت الرحمة على جميع أفعاله.

فهو فى مجال الخلق رحمن رحيم لقوله سبحانه:

﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾[4].

وفى مجال الربوبية رحمن رحيم لقوله سبحانه:

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾[5].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢١٩. (٢) سورة الزمر ـ الآية ٥٣.
(٣) سورة الأنفال ـ الآية ٣٣. (٤) سورة الرحمن ـ الآيات ١ ـ ٤.
(٥) سورة الحشر ـ الآيتان ٢١، ٢٢.

وفى مجال الألوهية رحمن رحيم لقوله سبحانه:

﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾(١).

وفى مجال التكليف رحمن رحيم لقوله سبحانه:

﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(٢).

وفى مجال الاستواء على العرش وممارسة السلطان رحمن رحيم لقوله:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾(٣).

وفى مجال تنفيذ التكليفات ومعصية الإنسان فهو رحمن رحيم لقوله:

﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾(٤).

وفى مجال الحساب يوم الدين رحمن رحيم لقوله:

﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾(٥). فهو سبحانه وتعالى رحمن رحيم فى الأزل ورحمن رحيم لم يزل.

ومن هذه الحقائق يتبين لنا أن الرحمن الذات لا يخلق شقيا ولكن الإنسان هو الذى يشقى نفسه بإرادته فى العبادة.

حتى فى عرض الأمانة وهى العبادة بالاختيار أو التكليفات الشرعية كما قيل فإنه سبحانه عرضها ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب على المؤمنين والمؤمنات كما جاء فى الآية: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا * ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾**(٦).

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٦٣.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٦.

(٣) سورة طه ـ الآية ٥.

(٤) سورة الزمر ـ الآية ٥٣.

(٥) سورة الفاتحة ـ الآيات ١ ـ ٣.

(٦) سورة الأحزاب ـ الآيتان ٧٢، ٧٣.

ثالثا ـ أنواع الكفر الذى يخرج من الملة:

أ ـ كفر التكذيب لقوله سبحانه

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾[1].

ب ـ كفر الإباء والاستكبار مع التصديق لقوله سبحانه

﴿إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[2].

جـ كفر الشك وهو كفر الظن لقوله سبحانه:

﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب﴾[3].

د ـ كفر الإعراض لقوله سبحانه:

﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾[4].

هـ ـ كفر النفاق لقوله سبحانه:

﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾[5].

ويلزم للكفر الأكبر الذى يخرج من الملة أن يكون بعمل ظاهر معروف لصاحبه وتوجد نية الكفر.

الشرك الذى يخرج من الملة: وهو الشرك الأكبر ولابد أن يكون بعمل ظاهر وبنية الشرك بالله لقوله سبحانه:

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[6].

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ٦٨.

انظر كتاب مجموعة التوحيد لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ص١١، ١٢.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٣٤.

(٣) سورة الكهف ـ الآيات ٣٥ ـ ٣٧.

(٤) سورة الأحقاف ـ الآية ٣.

(٥) سورة المنافقون ـ الآية ٣.

(٦) سورة النساء ـ الآية ١١٦.

المبحث الرابع

حرية العقيدة والفكر

أردت أن أتكلم عن حرية الفكر والعقيدة والذى ينادى به البعض الآن وجعلوا هذا النداء شعارا لهم حيث إن حرية العقيدة والفكر تؤدى إلى الإبداع وأن تقييدها يؤدى إلى التأثير على الإبداع للعلماء والمثقفين.

وأرد على هذا القول بأن حرية العقيدة قد كفلها الله وكفلها الدستور وكفلتها الدولة ذلك لقوله سبحانه: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى...**﴾[1].

والعقيدة الصحيحة التى لا خروج عنها بعد التمسك بها والدخول فيها هى «لا إله إلا الله»، أى لا معبود بحق ولا مطاع بحق إلا الله[2].

ولكن لنفهم ما العقيدة ومتى تكون حرية العقيدة ومتى تقيد هذه الحرية.

الله سبحانه وتعالى لم يجعل عبادة الإنسان له سبحانه بالقهر لكن بإرادة الإنسان وهنا لا تدخل للإرادة الأزلية لله كما يتصور البعض وإرادة الإنسان فيها منفصلة تماما، حقيقى أن الذى خلق إرادة الإنسان هو الله ولكن لم يقيدها بإرادته الأزلية أو يربطها بها وفى مجال العقيدة والتكليف بالذات ذلك لتحقيق العدالة فى محاسبة الإنسان والنص القرآنى صريح محدد فى هذا لقوله سبحانه: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾.

إذن فإرادة الإنسان مطلقة ولا حدود لها ولا قيد عليها.

ولكن إذا آمن الإنسان بالله واختار العقيدة الصحيحة السابق تعريفها فإنه بذلك يدخل فى علاقة عبودية مع الله بإرادته هو وباختياره وبحبه فلابد وأن يطيع الإنسان الله بعد ذلك لأنه أحبه بعد معرفته ورضى به سبحانه معبودا.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٥٦.

(٢) كتاب مجموعة التوحيد لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ص٥ ـ ٨

ورحم الله القائل:

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

لذلك فبعد الإيمان بالله إلاها لا حرية عقيدة ولقد ضرب لنا المثل فى الحياة ولله المثل الأعلى.

وذلك أيام العبودية والرق فالعبد وما ملكت يداه لسيده ولا يعصاه والعبد الأبق يقتل وبظهور الإسلام ألغى الرق وذلك لتوحيد الطاعة لله وحده لذلك فإذا ارتد المؤمن عن إيمانه يهدر دمه والخروج من الإسلام ارتداد؛ لأن الإسلام وهو الإذعان لأوامر الله وتسليم الوجه له هو المظهر الدال على الإيمان الذى هو فى القلب لا يراه ولا يطلع عليه أحد.

ومن نعمة الله علينا أن جعل إيماننا به طواعية ليدل على الحب والمحبة وليس هناك أرقى وأعظم من العلاقة التى تقوم على الحب. وهذه هى حرية العقيدة من الناحية الشرعية، كذلك الفكر كما سبق وقدمنا فى المبحث الأول.

لو أطلقنا العنان للعقل أن يفكر بدون عقيدة تحمى هذا العقل والفكر وبدون منهج يحدد له أسلوب التفكير لضل هذا العقل بفكره ووصل إلى الكفر والشرك وقد أثبت لنا الواقع ذلك، فكم من عالم ومثقف الحد بعد إيمانه حين أعمل عقله بدون عقيدة صحيحة وبدون منهاج إلهى وعندما رده رجال الدين العارفون بالعقيدة الصحيحة عاد إلى رشده، وقد أشار الله إلى هذا فى قوله تعالى: ﴿**اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى**﴾[1]. فهنا يشير الله إلى أنه سبحانه بعد أن يعلم الإنسان ما لم يعلم سيرى الإنسان يطغى بهذا العلم ويستغنى بالعلم عن المعلم وبالأسباب عن المسبب ثم يحذر الله الإنسان بأن يقول له: إنَّ إلى ربك الرجوع فى الدنيا وفى الآخرة وذلك حين ذكر الله العلم ذكر اسم الرحمن؛ لأن العلم بغير الله يضل صاحبه فقال سبحانه:

﴿**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان**﴾[2].

---

(١) سورة العلق ـ الآيات ٣ ـ ٨.

(٢) سورة الرحمن ـ الآيات ١ ـ ٤.

فتجلى الله فى التعليم بالرحمن ليرحم الإنسان من ضلال العلم.

لذلك لابد وأن يكون عمل العقل والفكر فى إطار القواعد والقيم ولا أعظم ولا أكمل من القيم والسلوكيات التى حددها الله.

والفكر دائما ما يكون نابعـا من عقيدة ويؤدى إلى استنباطات تسـمى منهجا فإذا كانت العقيدة التى هى أساس الفكر واحدة كان المنهج واحدا.

فإذا كانت العـقيدة هى لا إله إلا الله أى لا معـبود بحق ولا مطاع بحق إلا الله كان المنهج هو القـرآن الكريم؛ لذلك كان القرآن عـلاوة على أنه معجزة فـهو منهج للناس كافة؛ وذلك لتـوحيد العقيدة وفى هذا فـلاح ونجاح الجميع وفى هذا ترسيخ للعقـيدة فى النفوس وهذا مـا فضلنا به صحـابة رسول الله ﷺ الذين بنوا وأسسوا الأمة الإسلامية لذا فإن ترسيخ العـقيدة وتعميقها لا يكون بالفكر المنفصل عن المنهج.

واستعمال الفكر والـغوص به فى أعماق التكليفات الشرعيـة وأمور العقيدة والمنهج يؤدى إلى اكتشاف أسـرار الأمور الدالة على حقائقها وإذا مـا عرفنا حقائق الأمور حرصنا على تنفـيذها وطاعة الله وهذا هو التصوف بمعناه الحـقيقى الذى لا يعرفه الكثـيرون والذى يؤدى إلى سمو الأخلاق والسلوكيـات لذلك كان من دعاء النبى ﷺ «اللهم عرفنى حقائق الأمور».

وقوله سبحانه: ﴿**وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[1].

والعقيدة غير المنهج فالأخيـر هو مجموعة الأوامر والنواهى التى يطلق عليها التكليفات الشرعـية والسلوكيات التى تحكم تصرفاتنا ومعـاملاتنا مع الله فى عبادته ومع البشر فى معاملاتنا الدنيوية.

لذلك لابد وأن تحاط جـميع تصرفاتنا بـسياج من التعـاليم التى حددها الله للعَلَمُ بما يصلح أمورنا وذلك لتكون مـقبولة شكلا وموضوعا، فـالدين سلوكيات محـمودة حـددها الله والسلوك كمـا تعرف هو الثقـافة لذا فـإن الأصل الحقـيقى للثقافات هو الدين، لذا فقد وصف الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله:

﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٧٥. (٢) سورة القلم ـ الآية ٤.

وقوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ولننظر إلى تصرفات هذه الفئة من الشباب وبعض من شبابنا من خلال هذا المنظور للسلوكيات والثقافات نجد أن الذى يحدث الآن هو وليد معتقدات شيطانية غريبة على مجتمعنا وفكر منحرف لا عقيدة له ولا منهج ينظمه ويهذبه ويقومه وعادات وتقاليد تسربت لنا من الخارج فلاقت رواجا لأننا عرفنا بالتقليد الأعمى دون النظر إلى الأساس والنتائج؛ لأن بعض شبابنا نشأ على سطحية الفكر لا عمقه علاوة على الفراغ فى الوقت ووفرة المال الذى أفسد النفوس والذى كان لمادية العصر أثر كبير فى إيجاده بأى أسلوب وبأى طريقة؛ لذا كانت النتائج التى نراها فكر متطرف منحرف أدى إلى عبادة الشيطان والعنف والإرهاب والمجاهرة بالعصيان.

لذا فإن الفكر الإنسانى ليكون راقيا لابد وأن يكون نابعا من عقيدة سليمة ومحاطا بمنهج سلوكى قويم حتى يكون لنتاجه أصل ثابت طيب ونبت يافع حسن وليس هناك أطيب من عقيدة (لا إله لا الله) ولا منهج أقوم من كتاب الله.

الفصل الثانى

التيارات الفكرية المعاصرة وأثرها فى عبادة الشيطان

المبحث الأول : الفكر الحلاجى الصوفى المنحرف.

المبحث الثانى : الفكر الدينى المتطرف.

المبحث الثالث : العلمانية ومادية العصر.

المبحث الرابع : المناداة بمساواة المرأة بالرجل على الإطلاق.

المبحث الأول

الفكر الحلاجى[1] الصوفى المنحرف

هناك من أصحاب الفكر الصوفى القدامى من يبنى فكره على الحقيقة كما يدعون وهم لم يعرفوا ما الحقيقة ويظنون أن الوصول إليها بالتفكر والمجاهدة دون القياس على الشرع الذى يبين لنا كل الأمور وقالوا لو عرفت الحقيقة لعذرنا المخطئين من أهل الشريعة لعدم تطبيق أحكام الشرع على بعضهم فى المخالفات متأثرين فى ذلك بقصة سيدنا موسى مع الخضر والتى ذكرت فى سورة الكهف وادعوا علمهم بحقائق الأمور غير مستندين إلى دليل شرعى وسادت بينهم عادة غريبة هى الطاعة العمياء لشيخهم دون اعتراض على ما يقول أو يفعل وتعارفوا على عبارة شاعت بينهم مفادها (من اعترض انطرد) ومدى هذه العبارة إلغاء العقل لفهم الشريعة وتطبيقها للتمييز بين الأمور لمعرفة الصواب من الخطأ والإيمان من الكفر والتوحيد من الشرك وحماية النفس من الوقوع فى سلطان الشيطان مسلمين الأمر لشيخهم ليأخذ بيدهم ناسين قول الرسول ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى».

وقد أدى العمل بهذه العبارة ومعناها إلى البعد عن أصول العقيدة الصحيحة والغفلة عن منهاج الله الهادى للعقل والمُبصر به.

---

(١) (الحلاج) هو الحسين بن منصور.

يذهب المؤرخ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية إلى أن الحلاج هو الحسين بن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث ويقال أبو عبد الله كان جده مجوسيا اسمه (محمى) من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء ونشأ بواسط ويقال بتستر (البداية والنهاية جـ١١ ص١٣٢).

والجدير بالذكر أن الذين ترجموا للحلاج من المؤرخين العرب أجمعوا على أنه من أصل فارسى ولا يمت للعروبة بأى صلة نسب بل هو فارسى المولد والنسب.

ولد الحلاج فى بلدة (طور) فى الشمال الشرقى من مدينة البيضاء فى كورة (إصطخر) تمام ٢٤٤ هجرية الموافق عام ٨٥٨ ملادية (شهيد التصوف الحلاج ص٣٨ البداية والنهاية جـ١١ ص١٣٢).

وقد قتل الحلاج تكفيرا سنة تسع وثلاثمائة هجرية فى ٢٦ من ذى القعدة سنة ٩٢٢م، ويقول ابن كثير فى (البداية والنهاية جـ١١ ص٨٣) فلما كان اليوم الثالث من صلب الحلاج وتقطيعه، تقدم حامد إلى الخشبة فتلى أمر الخليفة، ثم قرأ فتوى الفقهاء، بأن فى قتل الحلاج صلاح أمر المسلمين ثم أمر الجلاد بقطع رأسه والإجهاز عليه.

وبذلك وجد الشيطان ضالته وانفتح له باب الدخول على مصراعيه فدخل بدون مقاومة وسوس بغير عناد ولا مكابدة فوصل لما يبغيه وهو دفع الناس للكفر والشرك الذى فعله هو. فزين للناس أنهم فوق التكليف وزين لهم المعاصى وباعد بينهم وبين الأركان لإقامتها وسلط عليهم المتشددين ليقنطوهم من رحمة الله ليحصل لهم ما فعله هو، ولعب بخيالهم ودخل من باب محبة الله وخيل لهم أن عصيان أوامر الله لمحبته وأن التضحية بالنفس والجسد الفانى من أجل العشق الإلهى حتى لو عذب الإنسان بعصيانه فهو الشهادة.

لذلك عندما بينا العقيدة الصحيحة وشرحناها كنا نقصد توعية الناس للدرع الواقى لهم، وقد لعب الشيطان بهم عن طريق إنفاذ الإرادة الأزلية وأن الإنسان ليس له إرادة، وبذلك فقد أغواه الله ولم يطلب هو الغواية لنفسه وذلك لإنفاذ إرادته مستندا إلى النص القرآنى:

﴿قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾[1].

وبعض من أصحاب هذا الفكر الصوفى لا يعدون الشيطان عاصيا إنما يعدونه موحدا إذ رفض السجود لغير الله وبذلك فقد تفرد فى عشقه ومن عبثهم صيروه أستاذ الموحدين مقتدين فى ذلك بالفكر الحلاجى الصوفى والذى ذكر فى طواسينه[2].

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٦.

(٢) الحلاج فى طواسينه خاصة (طاسين الأزل والالتباس) بعد إبليس أستاذ الموحدين لأنه رفض السجود لآدم كى لا يشرك بالله فيقول:

١ ـ وما كان فى السماء موحد مثل إبليس.

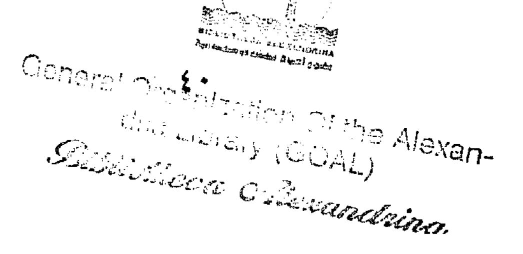
٢ ـ حيث إبليس تغير عليه (العين) وهجر الألحاظ فى السير وعبد المعبود على التجريد.

٣ ـ ولعن حين وصل إلى التفريد وطالب بالمزيد.

٤ ـ فقال له (اسجد) قال لا غير قال له إن عليك لعنتى، قال لا ضير (خرج جحودى فيك تقديس وعقلى فيك لتهويس).

٥ ـ مالى إلى غيرك سبيل وإنى محب ذليل قال له (استكبرت) قال لو كان لى معك لحظة لكان يليق لى التكبر والتحير وأنا الذى عرفتك فى الأزل (أنا خير منه) ولأن لى قدمة فى الخدمة وليس فى الكونين أعرف منى بك ولى فيك إرادة إرادتك فى سابقة إن سجدت لغيرك فإن لم أسجد فلابد لى من الرجوع إلى الأصل لأنك خلقتنى من النار والنار ترجع إلى النار وذلك التقدير والاختيار.

٦ ـ ما أسجد لأحد ولا أذل لشخص وجسد ولا أعرف ضدا ولا ولدا دعوى الصادقين وأنا فى الحب من الصادقين. =



وقد نحا بعض العـلماء والصوفية هذا المنحى وصـوروا إبليس على أنه كان مخيرا بين المشيئة الإلهية والأمر الإلهى فنفذ المشيئة الإلهية بل وأكثر من هذا حيث مكر الله به وأضمر له سوء العاقبة(١).

= ٧ ـ سجدوا لآدم على المساعدة وإبليس جحد السجود لمدته الطويلة على المشاهدة.

وقد ألهم فكر الحلاج بعض شعراء الفرس المتصوفة وبنى بعض الصـوفية الفرس وخاصة الشعراء كلامهم عن إبليس من خلال الآية القرآنية:

﴿خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾.

فالسـالك الصوفى فى سلوكه عليـه أن يكون مثل النار حرقـة وانصهارا وليس مثـل الطين سكونا وثباتا ومن يبحث عن المبـدأ والأصل عليه أن يحترق فـى نار العشق ويتخلص من المادة وبالتـالى كان إبليس اللعين بناريته لديـهم أحق بالعشق والإخلاص فـيه من آدم عليه السـلام بطينيتـه وبالتالى صور الـفكر الفارسى الصوفى حسد إبليس عن عشق لا عن جحود وعصيان عن تفريد لا عن تمرد ولعنته عن حبر مقدّر له فى الأزل لا عن شرك أو عصيان.

مقالة الدكتور محمد محمد يونس أستاذ الدراسات الشرقية كلية دار العلوم بمجلة أخبار الأدب الصادرة فى ١٦ فبراير سنة ١٩٩٧ تحت عنوان (هل أحب شعراء الفرس الشيطان).

(١) ما وصل إليه الدكتور صادق جلال العظم فى كتابه (نقد الفكر الدينى) الذى صدر منذ سنوات وعالج فيه أبعاد قضية عصيان إبليس من وجهة نظره ليـمثل امتدادا لما سبق أن قاله الحلاج وغيره فى هذا الشأن وإن كان المؤلف قد أضاف وجهات نظر جديدة للموضوع أكسبته أبعادا أكثر حساسية نستعرضها دون أن يعنى ذلك الموافقة عليها وهو طرح غير تقليدى يقف فيـه الباحث بجانب إبليس فى مأساته كما يراها محاولا الوصول إلى رؤية جديدة تخـتلف عن تلك المعتادة فى مناقشة هذا الأمـر ولذلك يؤكد فى بداية الفصل الذى خصـصه لبحث هذه القـضية وحمـل عنوان «مأساة إبليس» أنه هدف من خـلال هذه الدراسة إلى إعادة النظر فى قصة إبليس ودراسة شـخصيته ومسئوليته ومصـيره على ضوء جديد يختلف عن الأفكار المألوفة التى سادت عن تصور الجميع لهذا المخلوق من خلال التفكير الميثولوجى ـ الدينى الناتج عن خيال الإنسان الأسطورى وينطلق العظم فى دراستـه من الآيات القرآنية التى ردت حادثة رفض السجـود مفرقا بين الأمر الإلهى والمشيـئة الإلهية فالأمـر إما أن يطاع أو أن يعصى وللمأمور الخـيار فى ذلك وهو ما لا ينطبق على المشـيئة لأنهـا بطبيعـتها لا ترد ومن هذا المنطـلق يصل العظم إلى عدة نتائج مـنها أن إبليس خالف الأمـر الإلهى بلا شك عندمـا رفض السجود لآدم غـير أنه كـان فى تصرفـه ذلك منسجـما كل الإنسجام مع المشيئـة الإلهية فلو شاء الله لإبليس أن يقع ساجدا لوقع سـساجدا لتوه إذ لا حول ولا قوة للعبد على رد المشـيئة الإلهية ولو أنه خر سـاجدا لخرج عن حقيـقة التوحيد وعصى واجبـه المطلق نحو معبوده (وهى مقولة ليست جديدة سبق أن كررها عديدون على مر عصور الفكر الإسلامى ومنهم الحلاج وأبو الفتح الغزالى) ويتسائل الباحث هل تكمن الطاعة الحقيقية فى الإذعان للأمر أم فى الخضوع للمشيئة وهل يكمن الصلاح فى الانصـياع للواجب المطلق أم لواجبـات الطاعة الجزئية وإجـابات هذين السـؤالين ليست بسيطة بالطبع لأنـها لو كانت كذلك لما وجد إبليس نفـسه فى هذه المحنة ولما وقع بين براثن الأمر المشيئة ويعود المؤلف لاستنتاج رؤية (غير جديدة بدورها) وهى أن موقف إبليس يمثل الإصرار المطلق على التوحيد فى أصفى مـعانيه وأنقى تجلياته ويستشهد بـالحكاية التى أوردها الحلاج فى الطواسيس عن اللقاء الذى تم بين موسى عليه السـلام وإبليس فقد سأله الأول عن سبب امـتناعه عن السجود فأجـابه الأخير بقوله منعنى الدعـوى بمعبود واحد لو سجـدت له لكنت مثلك فإنك نوديت مرة واحـدة انظر إلى الجبل فنظرت ونوديت أنا ألف مرة أن أسجد فما سجدت لدعواى بمعناى. ويستخلص المؤلف أن قصة إبليس=

وقد تأثر الشعر الفارسى بهذا الفكر وخاصة الصوفية منهم وأبدعوا بشعرهم فى تمجيد إبليس وأنه صاحب أكبرمأساة وأن مأساته هى قمة المآسى وألهبوا العواطف والخيالات بشعرهم حتى تأثر بعض ضعاف العقيدة والبعيدين عن المنهج فعبدوا الشيطان فكان لهذا الفكر الحلاجى الصوفى ومقلديه الأثر المباشر فى قيام هذه العبادة بعد نزول الرسالات السماوية ومعرفة الناس بالله والإيمان به.

وقد قام هذا الفكر على النقاط الآتية:

١ ـ أن إبليس كان قمة فى التوحيد لرفضه السجود لغير الله.

٢ ـ أن إبليس كان متفردا فى عشقه لله.

=تمثل ناتجا للخيال الدينى الصرف يجعل النظرة المأسوية لإبليس ناقصة على الدوام لا تكشف إلا جانبا من حقيقته ولن تكتمل الصورة إلا إذا عولجت القصة على المستوى الدينى البحت، ويبرر المؤلف ذلك بتعذر قيام المأساة بمعناها النهائى والمطلق ضمن إطار الأديان السماوية الثلاثة فالدين لا يمكن أن يقبلها ـ المأساة ـ بصفتها النهائية لأن العناية الإلهية تحيط بالكون إحاطة تامة وتسيره نحو الغايات القصوى التى اختارها الله له لذلك فإن الدين يقوم دائما على تجاوزها مهما كانت مفجعة باعتبار أنه يقدم حلا لجميع إشكالاتها إن لم يكن فى الدنيا ففى الآخرة ومن خلال دراسة مقارنة لثلاث مآس وردت فى قصة سيدنا إبراهيم ومسرحية أنتيجونا وإشكالية إبليس يذكر المؤلف أنه إذا تمت دراسة الموضوع على مستوى المأساة نجد أن محنة إبراهيم عجزت عن الوصول إلى مستوى المأساة بسبب الكبش الشهير لذلك فقد علتها أنتيجونا فى الترتيب من حيث كونها مأساة حقيقية، أما مشكلة إبليس فقد اعتبرها مأساة المآسى غير أنه يجد الأمر يحتاج إلى إعادة ترتيب إذا درس الموضوع على مستوى التجربة الدينية حيث تصبح أنتيجونا فى نهاية السلم باعتبار أن تجربتها فرضت عليها الاختيار بين أمر السلطة الزينية وأمر السماء مع اختلاف مصادرهما بينما تصبح تجربة إبراهيم أهم مغزى وأقوى مفعولا لأنها خيرته بين أمرين الله المباشر وبين الواجبات الأبوية والالتزامات الأخلاقية والإنسانية المنزلة من عند الله، أى أن الاختيار كان بين أمرين نبعا من مصدر واحد هو الله أما تجربة إبليس فتظل على رأس القئمة باعتبرها أعظم التجارب شأنا وأشدها مرارة من وجهة نظر الباحث لأنها اضطرته إلى الاختيار بين متطلبات المشيئة الربانية والأمر الإلهى المباشر وبعد أن يراجع فكرة المكر الإلهى يفجر قنبلة بقوله بإمكاننا القول أن الله كان يبدى لإبليس من الرضا غير ما شاء له من مصير وأضمر له من قدر ومحنة وخاتمة أى أنه مكر به فأمره ظاهرا بالسجود لآدم ولكنه شاء له ضمنا أن يعصى الأمر حتى يكون له حجة على إبليس ليفعل به ما شاء وينفذ فيه قضاءه وقدره لم يكن أمر الابتلاء إذن سوى أداة المكر الإلهى غايتها تنفيذ أحكام المشيئة وتبريرها أمام مخلوقاته فتصبح بذلك مقبولة فى أعينهم فلا يكون لهم حجة عليه فيما يفعل بهم ولكن عند هذه النقطة يطرح السؤال نفسه ومتى كان الخالق فى حاجة ليبرر أفعاله أمام المخلوق، وقد نشر قول الدكتور صادق جلال العظم فى مجلة أخبار الأدب فى ١٦ فبراير سنة ١٩٩٧.

وبالاطلاع على مؤلفه (نقد الفكر الدينى) والذى نقد فيه كل الأديان وخاصة الدين الإسلامى ودافع عن إبليس فى بحث فى الكتاب اسماه (مأساة إبليس) من ص٨٣ حتى ص١٣٩.

٣ ـ أنه لم يعبأ باللعنة التي حلت عليه من مخالفة الأمر لصدق طاعته وتوحيده وتفرده في العشق.

٤ ـ أنه عبد الله على التجريد.

٥ ـ أن إبليس رغم رفضه السجود لآدم مخالفا بذلك الأمر الإلهي فإنه في تصرفه هذا كان منسجما كل الانسجام مع المشيئة الإلهية ولو أنه خر ساجدا لتوه لخرج عن حقيقة التوحيد.

٦ ـ أن إبليس اضطرته مأساته إلى الاختيار بين متطلبات المشيئة الربانية والأمر الإلهي المباشر.

٧ ـ أن الله سبحانه كان يبدى لإبليس من الرضا غير ما شاء له من مصير وأضمر له من قدَّر ومحنة وخاتمة، أي أنه مكر به لتكون معه الحجة لإنفاذ إرادته الأزلية.

٨ ـ أن إبليس خلق من نار وأصل النار النار فلابد وأن يعود للنار.

٩ ـ أن إبليس لم يختر لنفسه الضلال والكفر لما أضله الله وأغواه لينفذ إرادته فهو بذلك مظلوم استنادا إلى النص القرآني السابق ذكره ﴿**قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾.

ولما كان هذا الفكر قد نشر في الصحف والمجلات وقرأه الكثيرون ولم يتصدى له أحد وخشية أن يتأثر به الكثيرون ممن لا يعرفون أصول العقيدة الصحيحة، فقد قصدت أن أتصدى لهذا الفكر بعون من الله، مستعينا في ذلك بالقرآن والسنة فليس هناك أبلغ من كلمات الله لتبين لنا حقيقة إبليس وخباياه.

وبادئ ذي بدء يتضح لنا خلو هذا الفكر تماما من الدليل والحجة القائمة على القرآن أو السنة بل إن هذا الفكر تعمد الابتعاد عن شريعة الله الهادية لنا وجعل الخيال أصلا ودليلا له للتعريف بإبليس وكأن الله لم يرسل لنا منهاجا يحدد لنا كل شيء مغفلين قول الله تعالى:

﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾.

وبعد أن أوضحت ما سبق أرد بالآتى:

١ ـ التوحيد الذى وصف به الحلاج إبليسا لم يفهمه هو ولا إبليس فليس التوحيد فى السجود ولكن التوحيد فى الإذعان لأمر الله الذى هو بمثابة اختبار الإيمان والتوحيد وفورية التنفيذ بدون النظر إلى الغرض من الأمر سواء كان لصالح رغبة العبد أم ضدها، كما وأن أمر السجود لله كان السجود له سبحانه بأمره لا بأمر غيره وإبليس لم يأتمر من غير الله.

كذلك من شرحنا للعقيدة الصحيحة عرفنا من شرح توحيد الربوبية أن الله سبحانه له الصفة وضدها مثل الأول والآخر والظاهر والباطن والقابض والباسط ومعناه أنه تعالى يملك الأمر بالشىء وضده لذا فله الأمر بالسجود له سبحانه ولغيره إذا أراد ولكن هو جهل إبليس والحلاج بصفات الله وقدراته.

٢ ـ أن الرسول ﷺ قال: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» ويدل هذا الحديث على أن الله وحده هو صاحب هذا الأمر.

٣ ـ لو اعتبرنا تفرد إبليس فى عشقه لله هو فردية إبليس نفسه، أى لم يسبقه لهذا أحد.

أقول إن فى هذا تطاول على رسول الله ﷺ والذى غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقوله سبحانه: **﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...﴾**[1]. فتورمت قدماه الشريفتان من قيام الليل، ولما سئل من السيدة عائشة رضى الله عنها (ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) رد ﷺ وقال: **(أفلا أكون عبدا شكورا)**، فرد على النعمة بالشكر للزيادة، ولكن حين رد إبليس على نعمة الله عليه كفر، أى وكأنه يقول أفلا أكون عبدا كفورا.

وإذا كان المقصود بالتفرد هو فردية الله أى عدم رؤية إبليس إلا لله سبحانه الفرد الصمد فكيف نتصور هذا ونصدقه وقد رأى إبليس ناريته وأفضليته وطينية آدم فأجاب بهم سببا لعدم سجوده فقد رأى هنا مع الله أشياء وصفات ورأى نفسه وآدم فأين التفرد.

---

(١) سورة الفتح ـ الآيتان ١، ٢.

٤ ـ إذا كان إبليس لم يعبأ بلعنة الله وغضبه من العصيان لعشقه الزائد كما تصور الحلاج فذلك يثبت أنه خرج عن سنة رسول الله ﷺ لأنه وضع لنا هنا أساسا فحين رماه الأطفال بالحجارة فى الطائف ونزل جبريل من السماء وقال له: لو أردت لأطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلان هناك دعا ﷺ لهم وقال: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ثم قال عبارته الشهيرة التى تدل على قمة تفرده وتجرده وهو إمام الموحدين فقال:

«اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى أو إلى جاهل ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى لك العتبى حتى ترضى».

لننظر إلى العبارة قمة فى التوحيد والتجرد.

فحين قال: إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى، أى أن النبى ﷺ لا يبالى بالابتلاء والبلاء إذا كان بغير غضب فهذا تسليم بأنه فيه صلاح العبد ولكنه ﷺ أظهر هنا أنه يبالى ويخاف إذا كان الابتلاء والبلاء عن غضب من الله ليصلح من نفسه فكيف يخاف حبيب الله والمبشر سابقا بالجنة من ابتلاء الغضب يخشى على نفسه منه ولا يبالى من هو أقل شأنا منه.

نجد النبى ﷺ يضع قاعدة هامة وهى الحذر دائما من غضبه لأنه مهلك، وإصلاح النفس فورا حتى لا يدخل العبد فى الكفر كما فعل إبليس اللعين.

٥ ـ أن إبليس لم يعبد الله على التجريد ولم يفهم هو أو غيره من معتنقى هذا الفكر ما هو التجريد لأن التجريد هو تجرد العبد من حوله وقوته وقدرته وإرادته وسلطانه وعلمه وفضله وميزته وكل ما هو يميزه عن غيره لأنه واقف أمام القادر على الإطلاق وإبليس حين رد وقال: ﴿**خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ وكذلك ﴿**أأسجد لمن خلقت طينا**﴾ وكذلك ﴿**أنا خير منه**﴾ هنا إبليس عند الرد لما سئل عن عدم السجود تباهى واختال بناريته وظن أنها أفضل من الطين وأنه أفضل من آدم وتكبر وتعالى فأين التجرد هنا أهو هذيان أم افتراء على الله.

٦ ـ كيف يكون إبليس بعصيانه السجود منسجما مع المشيئة الإلهية وأن فى سجوده الخروج عن حقيقة التوحيد لو نظرنا إلى السجود فى القرآن لوجدنا أنه كان

بأمر من الله وليس بعلم من العبد فلو كان السجود ناشئا عن علم العبد السابق لكان هذا الكلام صحيحا لكن السجود بأمر الله وأمر السجود فى القرآن لم يجئ بصيغة لا تسجدوا لغير الله ولكن الأمر كان بالسجود لله ومنع السجود بالتحديد لبعض المخلوقات. لذلك إذا أمرنا الله بالسجود لغيره وجب علينا التنفيذ والطاعة.

٧ - وضع إبليس فى الاختيار بين متطلبات المشيئة الربانية والأمر الإلهى المباشر يتطلب أن يكون عالما بالغيب؛ لأن المشيئة الأزلية غيب وإنفاذها فى المستقبل غيب ونحن نعلم أن إبليس لا يعلم الغيب ولو كان كذلك لعلم الجن بموت سليمان عليه السلام كما وأن العبد إذا علم الغيب لا يكلف وإبليس مكلف لقول الله سبحانه: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

٨ - كيف يمكر الله بإبليس لإنفاذ إرادته الأزلية، وهم لم يفهمون شيئا عن إرادة الله، وإرادة الإنسان، فإرادة الله الأزلية تكون فى بدء الخلق والتقدير للأمور، فإذا نفذت الإرادات وُجدت الموجودات ثم تستمر إرادة الله نافذة لإيجاد الأمور المقدرة عند حلول أوقاتها كالأرزاق والآجال والأقدار والابتلاءات، أما إرادة العبد المختار فإنها بمجرد أن أوجدها الله تخرج عن قهر الله لقوله سبحانه: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾. فكيف يكون القهر وإنفاذ الإرادة الأزلية فى إرادة الإنسان أو العبد المختار فى التكليف لذلك لا إكراه ولا إجبار للإرادة فى التكليفات الشرعية فمن أين جئتم بهذا المعنى؟!

٩ - من قال: إن النار أصلها النار فقد ألهها بذلك ويكون قد أشرك بالله لأن الشىء إذا كان أصلا لذاته فهذا هو الله لأن الله أوجد كل الموجودات ولم يوجده أحد فهو أصل لذاته.

كما وأن النار أصلها التراب والطين لقوله سبحانه:

﴿**الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون**﴾[١].

وقوله سبحانه:

﴿**أفرءيتم النار التى تورون * ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**﴾[٢].

---

(١) سورة يس - الآية ٨٠.

(٢) سورة الواقعة - الآيتان ٧١، ٧٢.

فأصل النار الشجر الأخضر الذى به ماء ولم يجف فالشجر من الطين كذلك فإن النار حين تنتهى تصبح رمادا فتعـود إلى التراب ولا تعود إلى النار كما زعموا كمـا أن النار تخرج أمامنا من باطن الأرض على سطحـها أو تحت سطح الماء من فوهات البـراكين وأول ما تولدت النار من احـتكاك قطعة الشجـر بالأخرى وأصل النار واحد أنواعها متعددة ولتعددها أسباب تجعلها درجات.

١٠ ـ الله الرحمن الذات والذى تسبق رحمته أفعـاله وغضبه لا يخلق شقيا وغما الإنسان والعبد هو الذى يشقى نفسه فـالله يضل العبد بضلاله وبعلمه أنه ضال ويغويه بكفره واستكباره لقوله سبحانه:

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم...﴾[١].

قوله سبحانه:

﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾[٢].

وقوله سبحانه:

﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾[٣].

وقوله سبحانه:

﴿إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾[٤].

وقوله تعالى:

﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾[٥].

---

(١) سورة الجاثية ـ الآية ٢٣.
(٢) سورة النساء ـ الآية ١٥٥.
(٣) سورة غافر ـ الآية ٣٥.
(٤) سورة غافر ـ الآية ٢٨.
(٥) سورة الرحمن ـ الآية ١٥.

مارج من نار وهو طرف لهبها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد، وقال العوفى عن ابن عـباس من مارج من نار من لهب النـار من أحسنها، وقال عـلى بن أبى طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة مـن نور وخلق الجـان من مارج من نـار، وخلق آدم مما وصف لكم» ورواه مـسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد وكلاهما عن عبد الرازق به. تفسير ابن كثير ص٢٧١.

وقوله تعالى:

﴿فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾[1].

لذلك فإنه حين استحب إبليس الضلالة على الهدى والكفر على الإيمان واليأس على التوبة والمغفرة واستمرأ الكفر والعصيان أضله الله بضلاله وبإصراره وبكفره.

ولِمَا فى هذا الفكر المنحرف عدم تنزيه لله من الظالم والقهر ولِمَا أبداه الفكر من إساءة لله عز وجل كان هو محور اعتراض الملائكة على جعل آدم وذريته خلفاء فى الأرض وكأن الملائكة تعرف ما سيحدث من عدم تقديس من ابن آدم لله فكان قول الملائكة: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾**.

فتقديم تقديس ابن آدم لله كان سبب اعتراض الملائكة لأنهم قدسوا الله ونزهوه.

أليس فى كل ما سبق من الكتاب والسنة دليل على انحراف هذا الفكر عن المنهج وعدم التزامه بالعقيدة السليمة وسيطرة الشيطان عليه.

ما دمنا قد قطعنا الشك باليقين وأكدنا بما لا يدع مجالا للغيب من كفر إبليس ولعنته وطرده بكفره فإنى أحمد الله عز وجل أن وفقنى لهذا حتى أكون قد شاركت ولو بمثقال ذرة فى مكافحة هذا الخطر وفى محاولة ترسيخ العقيدة فإنى أدعو الله عز وجل أن يوفقنا إلى التوبة إليه والاستغفار دائما من ذنوبنا والتوكل عليه واتباع منهاجه وشرعته لنقف بها متسلحين فى وجه هذه الآفات وللقضاء على الطاغوت من إنس وجان. وعبادة الله حق عبادته وتوحيده حق توحيده والإخلاص له فى عملنا.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢٤.

اما الوقود بفتح الواو فهو ما يلقى فى النار لإضرامها كالحطب ونحوه كما قال تعالى: **﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾** المراد بالحجارة هى ههنا حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المتنة وهى اشد الاحجار حرا إذا حميت أجارنا الله منها، وقال عبد الملك بن ميسرة الرزاد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود (وقدها الناس والحجارة) قال هى حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض فى السماء الدنيا يعدها لكافرين رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبى حاتم والحاكم فى مستدركه وقال على شرط الشيخين. تفسير ابن كثير ص٦١.

الذين دافعوا عن الشيطان وردهم:

من الذين دافعــوا عن الشيطان الدكتــور صادق جلال العظم فى كتــابه (نقد الفكر الدينى) والذى نقد فيه جمـيع الأديان وبخاصة الدين الإسلامى وقد أوردت فكره فى هامش النشأة مع فكر الحلاج المنحرف وقمت بالرد عليهما معا.

كما كان من المدافعين عن الشيطان الأديب توفيق الحكيم فى قصته (الشهيد) والتى عدها الأديب العقاد من أجود ما كتب فى جميع اللغات[1].

وهذه القصــة تُظهر الشيطان بمظهــر الشهيد المغلوب على أمــره ولما كان فى القصــة تطاول على الله وعدم تنزيه لذاته سـبحــانه ومحاولة هدم للــقرآن وللدين الحنيف الأمر الذى قد يكون له الأثر الكبير على الغــالبية العظمى خاصة إذا كانت من أديب كبيــر له شهرته، لذا فقد دفـعتنى عقيدتــى وحرصى على دينى أن أسرد هذا الفكر وأنقضه بكلمات الله لا بكلماتى.

يقول الأديب الكبير: إن الشيطان ذهب إلى أحد مشايخ الأزهر الشريف كى يتوب على يديه من أفعاله الشريرة فدار بينهما الحوار التالى[2]:

ـ شيخ الأزهر: إيمان الشيطان عمل طيب ولكن...

ـ إبليس: ماذا؟ أليس من حق الناس أن يدخلوا فى ديــن الله أفواجا؟ أليس من آيات الله فى كتابه الكريم: **﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾** هأنذا أسبح بحمده وأستغفــره وأريد أن أدخل فى دينه خالصا مخلصا وأن أسلم ويحسن إسلامى.

وتأمل شيخ الأزهر العواقب لو أسلم الشــيطان: فكيف يتلى القرآن الكريم؟ هل يمضى الناس فى قولهــم «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ولو تقــرر إلغاء ذلك لاستتبع الأمــر إلغاء أكثر آيات القرآن فكيف يستطيع شــيخ الأزهر أن يقبل إسلام الشيطان دون أن يمس بذلك كيان الإسلام كله.

رفع شيخ الأزهر رأسه ونظر إلى إبليس قائلا:

---

(١) إبليس ص١٨٤.

(٢) قصة الشهيد (توفيق الحكيم).

- إنك جئتنى فى أمر لا قِبَل لى به.. هذا شيء فوق سلطتى، وأعلى من قدرى ولست الجهة التى تتجه إليها فى هذا الشأن.

- إبليس: إلى من أتجه إذن؟ ألستم رءوساء الدين؟ كيف أصل إلى الله إذن؟ أليس يفعل ذلك كل من أراد الدنو من الله؟

لكن إبليس لم يستسلم لرفض شيخ الأزهر توبته، فصعد إلى السماء وطلب من جبريل عليه السلام التوسط عند ربه لقبول توبته، فيقول له جبريل:

- نعم، ولكن زوالك من الأرض يزيل الأركان ويزلزل الجدران، فلا معنى للفضيلة بغير وجود الرذيلة.. ولا للطيب بغير الخبيث.. لا للنور بغير الظلام.. بل إن الناس لا يرون نور الله إلا من خلال ظلامك.. وجودك ضرورى فى الأرض ما بقيت الأرض مهبطا لتلك الصفات العليا التى أسبغها الله على بنى الإنسان.

- وجودى ضرورى لوجود الخير ذاته، نفسى المعتمة يجب أن تظل كذلك لتعكس نور الله، سأرضى بنصيبى الممقوت من أجل بقاء الخير ومن أجل صفاء الله.. ولكن هل تظل النقمة لاحقة بى واللعنة لاصقة باسمى على الرغم مما يسكن قلبى من حسن النية ونبيل الطوية؟

- نعم يجب أن تظل ملعونا إلى آخر الزمان.. إذا زالت اللعنة عنك، زال كل شيء.

وبكى إبليس وترك السماء مذعنا وهبط مستسلما، ولكن زفرة مكتومة انطلقت من صدره وهو يخترق الفضاء رددت صداها النجوم والأجرام فى عين الوقت، كأنها اجتمعت كلها معه لتلفظ تلك الصرخة الدامية: إنى شهيد... إنى شهيد.

الرد على الأستاذ الحكيم:

الأستاذ توفيق الحكيم نظر إلى قصة الشيطان من منظور أدبى صرف ولم ينظر لها من منظور دينى وخيالات الأدب جعلت الأستاذ الكبير لا ينظر إلى كتاب الله الذى لا مبدل ولا معقب على كلماته ولو أن الأستاذ الكبير قرأ كل ما ذكر فى القرآن الكريم عن الشيطان لتغير فكره ومفهومه عن هذا اللعين.

١ ـ كيف رأى الأستاذ الكبير الشيطان وهو يتحدث مع شيخ الأزهر وكيف رأى شيخ الأزهر الشيطان ودار بينهما هذا الحوار وقد قال الله سبحانه عن الشيطان:

﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[1].

ففى هذا التصور الأدبى رفيع الأسلوب إما تكذيب للقرآن وهدم للدين وإما اتهام لشيخ الأزهر لأنه يسخر الجن ويتعامل معه.

٢ ـ قال الأستاذ الكبير: أليس من حق الناس أن يدخلوا فى دين الله أفواجا مستشهدا بالقرآن الكريم.

أقول للناس كافة إن القرآن يخاطب الناس والحق للناس وقد ذكر سيادته اللفظ بالتحديد وهو الناس علاوة على أنه لابد وأن يعرف الجميع أن الله جعل التوبة للإنسان حتى الموت فإذا مات الإنسان انقطع التكليف وانقطعت التوبة وكلنا نعرف ذلك والشيطان ليس إنسانا هو جان كلف بالعبادة فى الأرض قبل الإنسان وكفر منهم من كفر وآمن منهم من آمن وقتل بعضهم البعض وطردوا من الأرض وانتهت عبادتهم وتوبتهم وحل محلهم الإنسان لقول الله سبحانه:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾.

فكيف تكون التوبة بعد ذلك للشيطان وإلا لكان للإنسان أن يتوب من كفره بعد مماته أو جنونه.

٣ ـ تأمل شيخ الأزهر العواقب بهدم القرآن الكريم لو تاب الشيطان لانتهاء الآيات ثم رد الملائكة بضرورة وجود الشيطان فى الأرض للتوازن وعدم الزلزلة وذلك لإظهار الشىء بضده ولأن التكليف يقتضى وجود الشىء وضده والشيطان هو ممثل الشر لذلك فإن هذا هو قدر إبليس فهو إذن مجبور شهيد.

أقول. إن تصوير الأدب غير تبيين القرآن للأمور فالأدب تشبيه وخيال وتجميل أما القرآن حقيقة لا تجميل فيها فهى منذ النشأة جميلة.

فالدارس للقرآن وللعقيدة يعرف أن هناك فرقا بين كفر الشيطان بإرادته ومهمته فى الحياة ويظهر هذا فى آية عرض الأمانة فى قوله سبحانه:

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٢٧.

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا * ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾.

لو تدبر الكاتب الكبير هذه الآيات لتبين الآتى:

فى عرض الأمانة دليل على اختبار كل المخلوقات فى أمورهم وإيمانهم وعبادتهم، فالملائكة والجمادات والنباتات والحيوانات اختارت بإرادتها أن تكون مقهورة لله فى عبادتها ومسيرة فأوكلت أمرها لله لذلك فهى طلبت أن تعيش فى الخير فقط لأنه لا يكون من الله إلا الخير لقوله سبحانه:

﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1].

والإنسان اختار العبادة بالاختيار، أى أن يكون بين الطاعة والمعصية والتوبة وكذلك الجان كان مخيرا فى عبادته. إلا أن الجان كفر بالله ويأس من رحمته كما سبق وبينت فى الحديث عن عداوة الشيطان للإنسان وأنه أصر على كفره فهو استحب الضلالة على الهدى وأحب الشر لأن عصيانه كان فى العقيدة، أما آدم فكانت معصيته فى المنهج وعن طريق الوسوسة والضعف والنسيان وليس الإصرار ورجع إلى الله وتاب ولم يتب الشيطان وقضى الأمر فى هذا من القديم وختم على ذلك فكان آدم بين الطاعة والمعصية والرجاء والأمل والتوبة. وبذلك يكون كل جنس من الثلاثة قد اختار صفته وطباعه التى حددت مهمته.

لذلك فقد جعل الله مهمة الملائكة الخير، ومهمة الشياطين الشر، مهمة الإنسان إعمار الكون وكل على أساس اختيارهم وإذا كانت الصفات والطبائع من الله ولكن الاختيار كان للمخلوقات، فكيف يكون الشيطان مقهورا أو شهيدا.

وقد تعجبت لثناء الأستاذ الكبير العقاد على تصور غير مشهود بل هو من نسج الخيال وليس له دليل وبرهان ولكن أظن أن الثناء كان على العمل الأدبى والصياغة النثرية البديعة وليس على المعلومة الدينية والعقدية.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ٢١٦.

٤ ـ وإذا كان الشيطان قد لجأ إلى شيخ الأزهر ليدخله فى الإسلام ويتوسط له فى التوبة ثم لجوءه لجبريل عليه السلام فهل هذا هو أستاذ الموحدين.

لذلك وحتى لا يتطاول الأدب على الدين ذكرت فى أول الكتاب أن الفكر الإنسانى لينتج نتاجا صحيحا لابد وأن يكون نابعا من عقيدة سليمة ومحاطا بسياج من المنهج السلوكى الإلهى القويم فيكون له أصل وسياج.

وأنهى هذا الموضوع بحقيقة هامة لابد وأن تكون فى جميع الأذهان.

إذا تعرضنا لشرح موضوع أو قضية قال فيها الله قولا فلا قول لأحد غيره مهما علا قدره ومهما سما شأنه فكيف يصف الله الشيطان بأوصاف محددة وكيف يكفره ونغير نحن البشر كلام الله ونعدل فيه أليس فى هذا تطاول على الله، وأذكر الجميع بمقولة سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر».

وهنا نقول قال الله سبحانه وتعالى جل شأنه تقولون قال الصوفى وقال الأديب وقال الشاعر وقال العالم!

وأتساءل هنا أأطلع الحلاج على اللوح المحفوظ حتى يقول بخلاف القرآن وإذا كان قد اطلع ألم يقرأ قول الله سبحانه:

﴿لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾[1] وقوله تعالى: **﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته﴾**[2].

يقول الله: **﴿إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**.

ويقول الحلاج هو أستاذ الموحدين، ويقول الأستاذ الحكيم هو شهيد، ويقول الله **﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا﴾** ويقول الدكتور العظم: إن الله أضمر لإبليس خلاف ما أراه له من نعم وقرب لتكون معه الحجة عليه، أى استهانة هذا بكلام الله وأى عقل عادى متوسط الذكاء يصدق ما قاله هؤلاء؟! ومن يتطاول على الله يتطاول على الحاكم وولى الأمر.

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٢٧.

(١) سورة يونس ـ الآية ٦٤

أحمد الله سبحانه وتعالى أنه رحـماني الذات وإلا كان قد ترك السماء علينا دون أن يمسكها لنهلك جميعا جزاء ظلمنا وصدق الله العظيم إذ قال:

﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾.

وأترك الحكم للقراء الكرام.

وإذا كانت إرادة الله الأزلية هى التى جعلت إبلـيس يعصى ويكفر فهى التى جعلت الحلاج يبدل كلـماته ويقتل حدا. وهى التى جعلت الأستـاذ الحكيم يعتبر إبليس شهيدا من خلال خيال قصة لا من نصوص قرآنية أو دليل مادى. وهى التى جعلت الدكتور العظم يتهم الله بإضمار خلاف ما يظهر. تعالى الله عن ذلك علوا كبيـرا، وإرادة الله الأزلية هى التى جعلت كل من عبدوا الـشيطان أن يفعلوا هذا. وهى التى جعلت الحلاج على حق وصاحب مأساة وحكام زمانه وفقهائه كل على ضلال. أإرادة الله الأزلية جعلت الأمة تجمع على الضلال والحلاج وحده ومن تبعه من قلة عـلى حق؟ وعندمـا قـال الحـلاج أنا الحق. هل الحق يبـلى؟! هل الحق يموت؟! هلى الحق يتغير؟! فإذا كان هو الحق لماذا كـبر بعد أن كان صغيرا؟! ولماذا مرض بعـد أن كان صحيـحا؟! ولماذا قُتِلَ ومـات بعد أن كان حيّـا؟! ولماذا أجمع العلماء على خطره على الإسلام؟! ولماذا بلى جسده؟!

ولكنها هى شهوة الوصول إلى الولاية والمعرفة بالله، فالولاية الحقة هى التى ينالها الإنسـان بإخلاص عبـادته لا بشهـوة الوصول وإخلاص العـبادة لابد له من التجـرد التام من كل شهـوة؛ لأن الشيطان دائمـا يركب الشهوات حـتى لو كانت صالحة ويضل الإنسان عن طريقها فقد يبدأ الإنسان بالصلاح والطاعة ولكن لشهوة الوصول لا بغرض الإخلاص، وهنا يقع الإنسان كما وقع كثير مثل الحلاج رحمنا الله وحـمانا وحـفظنا من هذا وأعـاذنا من الشـيطان الرجيم وطوّع قلوبنا للرضـا والقناعة والتواضع والإخلاص.

---

(٢) سورة الأنعام - الآية ١١٥.

المبحث الثانى

الفكر الدينى المتطرف

ظهرت فى الآونة الأخيرة جماعات تعتنق الفكر الدينى المتطرف لعدم فهم العقيدة الفهم السليم وخلط الأمور فأباحوا لأنفسهم تحت ستار هذا الفكر العنف والإرهاب والتخريب.

وهذا الفكر فى مجمله يقوم أساسا على تكفير مرتكب الكبائر والمعاصى وتكفير ولاة الأمور لما يسمعون عنه من فساد فى أجهزة الدولة ولا يرونه ولا يقيمون عليه البينة وهم فى كل ذلك حاكموا وحكموا ونفذوا أحكامهم بالقتل وسلب الأموال واستحلالها دونما نظر لسابق رحمة الله الذاتية التى تتصف بها ذات الله لقوله سبحانه:

﴿قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ ومن هذا النص القرآنى اغفلوا أن رحمة الله سبقت غضبه لسبق ذاته سبحانه على أفعاله مصداقا للحديث القدسى «ورحمتى سبقت غضبى»(١).

هذه الرحمانية الذاتية التى أوجدت التوبة والاستغفار لمحو الذنوب مع سلب المحكوم عليهم حق الدفاع عن النفس والتوبة والاستغفار إن تبينت معصيتهم. كما حرموا زينة الله الطيبة التى تبهج النفوس وتعين الإنسان على قسوة الحياة ومرارة العيش التى تسببوا هم فيها بإنفاق أموال الزكاة التى يجمعونها وينفقونها فى القتل والعنف بحجة الجهاد فى سبيل الله غافلين أمر الله بترتيب مصارف الزكاة للفقراء والمساكين إلا أن هذه الأموال الطائلة التى تنفق فى العنف لو أنفقت على الفقراء والمساكين لخففت العبء عن الناس وعن الدولة وهدأت نفوس الناس ووجدوا الوقت للعبادة ودراسة دين الله فأطاعوه فجعلوا الحياة بهذه التصرفات هما وغما ونكدا الأمر الذى أثر بالسلب على معنويات الناس وجعلهم ينصرفون عن الدين إما للانشغال بالبحث عن لقمة العيش وتوفير حاجات ابنائهم الضرورية وإما

---

(١) موطا مالك.

للشعور باليأس من رحمة الله كما جعلوا غير المسلم ينفر من الإسلام بل ويبتعد عن مجرد معرفته فأثروا سلبا على الدعوة فتباعد الناس ظانين أن الإسلام هو عنف وقتل وترويع آمنين وسلب أموال وشفاء أنفس وقد زرعوا اليأس فى قلوب العصاة بدلا من ترغيبهم فى التوبة ببيان ما أعد الله للتائبين والمستغفرين لأن اليأس يؤدى إلى الكفر كما حدث مع إبليس وسبق أن بينت.

كما أن تهديد أمن المواطنين وترويعهم أثر سلبا على الإنتاج والاقتصاد مما أدى إلى تدهور الأحوال كل هذه الأمور مجتمعة صرفت الناس عن الدين وعن دراسته وعن فهم العقيدة الفهم السليم وصرفتهم عن الالتفاف حول العلماء والحرص على حلقات العلم الدينى فأصبح الناس مفلسين عقديا ودينيا ونحا أبناؤهم نحوهم فى ذلك فأصبح السواد الأعظم من الناس فريسة سهلة لأى تيارات فكرية غريبة خارجة عن الشرائع السماوية والمناهج الإلهية لتسيطر على عقولهم وتغير مفاهيمهم ومعتقداتهم فى غاية السهولة وهذا ما حدث فى الفترة الأخيرة.

وانتهت هذه الجماعات بفكرها إلى الآتى:

١ ـ تكفير الحاكم لأنه لا يحكم بما أنزل الله.

٢ ـ تكفير المجتمع لطاعته للحاكم ولعمله بالمحرم من الأعمال وارتكابه المعاصى والكبائر.

٣ ـ استحلال أموال الناس لكفرهم.

٤ ـ حقهم فى تغيير المنكر استنادا إلى حديث النبى ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان».

وللأثر العظيم لهذا الفكر على ما نحن فيه من مشكلات دينية اجتماعية واقتصادية وفكرية وثقافية وعسكرية لما فيه من إضعاف الدولة بل الأمة الإسلامية وخطورته على العقيدة فإنى أناقش هذا الفكر على قدر ما أعطانى الله من علم فى هذا الموضوع وأيدنى به والله المستعان ولتكون هذه المناقشة والحوار على أساس من الكتاب والسنة حتى نصل إلى حقائق الأمور مسترشدين فى ذلك بالفهم السليم

للعقيدة التى هى أساس للأحكام الشرعية وقد سبق وشرحنا العقيدة الصحيحة فى الفصل الأول.

الله سبحانه وتعالى جعل الأصل فى الأشياء والأفعال الإباحة وما حُرم منها جاء بنص فى القرآن بل إن النبى ﷺ لم يملك حق التحريم لأفعال وذلك لما ورد فى سورة المجادلة حين جاءت الصحابية تشكو لرسول الله ﷺ مظاهرة زوجها لها فما كان منه ﷺ إلا أن أفتى بالتحريم طبقا لما كان عليه العرف وقتها فلما بكت المرأة وشكت حالها وحال أولادها نزل الوحى بالآيات:

﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور﴾[1].

وقد فرض الله عقوبات على ارتكاب هذه الأفعال المحرمة التى لا يملك أحد تحريم مباح إلا هو سبحانه، وهذه العقوبات إما أن تكون فى الدنيا وينفذها أولى الأمر وهذه هى الحدود، ومنها عقوبات توقع فى الآخرة وهى العذاب فى النار بدرجات مختلفة وهذه تنفذ بأمر الله وله سبحانه وتعالى العفو عنها وهو لا يسأل عما يفعل وطريقة حسابه سبحانه تختلف عن طريقة البشر فهو الرحمانى الذات للمؤمنين وهو القهار للمشركين والكفار وهو أعلم بعباده.

وحدود الله التى تقام فى الدنيا بمعرفة ولى الأمر لها شروط وأدلة وبراهين حددها الله فإن تحققت وفق مراده سبحانه وجب إقامة الحد بلا رأفة ولا شفقة خاصة فى جريمة الزنا وبلا تفرقة بين غنى وفقير ولا سيد ومسود وإذا لم تتوافر الأدلة المحددة فى هذه المعاصى فلا يقام الحد أو ارتكبت فى الخفاء لا يقام الحد على من اشتهر بارتكاب هذه المعاصى بدون بينة لقول النبى ﷺ ما معناه: «لو كنت راجما بغير بينة لرجمت فلانة» والله حين يريد أن يعذب أو يقرر العذاب على معصية فإن ذاته الرحمانية ـ كما سبق وبينا ـ تسبق فعله فتسبق الرحمة العذاب فتنشأ التوبة هنا لذا فقد أعطى الله الفرصة للعصاة بالتوبة قبل الموت

---

(١) سورة المجادلة ـ الآيتان ١، ٢.

ليغفر الذنب بل وجعل منافذ كثيرة للعصاة ليمحو لهم ذنوبهم بخلاف التوبة فجعل الاستغفار فرصة لقوله سبحانه:

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾[1].

كما جعل التوحيد وعدم الشرك بابا للمغفرة فى الحديث القدسي «عبدى إذا جئتنى بقراب الأرض معصية ثم أتيتنى لا تشرك بى شيئا جئتك بقرابها مغفرة»[2]، وجعل التراحم بابا للمغفرة فى حديث النبى ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن»[3].

وحين بين الله فى القرآن الحدود على المعاصى سبق بالتوبة وأرشد الإنسان إلى التوبة حتى يعفى من عقابه وذلك فى جميع المعاصى التى عليها حدود، ففى جريمة الزنا والقتل والشرك قال سبحانه:

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾[4].

وفى جريمة السرقة يقول تعالى:

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾[5].

وفى جريمة القذف يقول تعالى:

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٣٣. (٢) موطأ مالك.

(٣) فتح الباري.

(٤) سورة الفرقان ـ الآيات ٦٣، ٧٠.

(٥) سورة المائدة ـ الآيتان ٣٨، ٣٩.

جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾[1].

وفى ضوء شرح العقيدة الصحيحة ومن معرفة ذات الله الرحمانية وفى ضوء شرح تعامل الله مع الأفعال المحرمة وكيفية معاملة مرتكبيها فى الحالتين حالة إقامة البينية لإقامة الحد وفى حالة عدم إقامة البينة أو عدم فرض حدود للمعصية نحاول أن نعرف كيف تعاملت الدولة فى ضوء ما تقدم وكيف تعاملت هذه الجماعات.

كيفية تعامل الدولة:

نجد أن الحكومة قد حرمت جميع الأفعال التى حرم الله فعلها فى القرآن الكريم فهى حرمت الزنا والقذف والسرقة والقتل والسكر البين بل حرمت الشروع فيها وهذه هى الجرائم التى فرضت عليها الحدود بل جرمت الدولة جميع الأفعال التى ليس عليها حدود فحرمت الفعل الفاضح العلنى وتحريض المرأة للرجل على الفسق وحرمت الدعارة وإدارة الأماكن للقمار وحرمت خيانة الأمانة والنصب والغش التجارى والرشوة وإهدار المال العام والتخريب وأكثر من هذا.

فكيف لمن فهم الشريعة أن يكفر الدولة لأنها لم تحكم بما أنزل الله وبتطبيق ما شرحناه من أنواع الكفر الذى يخرج من الملة كيف نكفر الدولة التى لم تحل ما حرم الله ولم تحرم ما أحل الله.

لذا فإن هذا الفكر إما أن يكون غير فاهم للشريعة وإما أن يكون له غرض من وراء تصرفاته وتصرفات معتنقيه وهذا واضح تماما ولا غموض أو لبس فيه على الإطلاق.

أما فى مجال العقوبات والحدود التى تقام بعد إقامة البينة طبقا لشروط القرآن الكريم فليقدم لنا هؤلاء جريمة واحدة لها حد فى القرآن واتهم بها شخص وأقيمت عليه البينة كما أوضح القرآن ولم تقم عليه الدولة الحد الذى فى القرآن بل إن الدولة حرصت على عدم إشاعة الفوضى وأقامت على هذه الجرائم عقوبات رغم عدم إقامة البينة التى نص عليها واشترطها الشرع وتوقع هذه العقوبات طبقا لما اشترطه القانون حفاظا على النظام العام وعدم الإضرار بالناس مطبقة بذلك المبدأ

---

(١) سورة النور ـ الآيتان: ٤، ٥.

الإسلامى لا ضرر ولا ضرار، ولعدم إشاعة الفساد بين الناس أليس فى هذا حرص من الدولة على الأخلاق والسلوكيات.

وحتى ورغم وجود بعض السلبيات والجرائم التى من شأنها إفساد الناس والمجتمع وشيوع هذا بين الناس وشيوع الفساد وذلك كالسرقة والرشوة والتبديد والاستغلال والاحتكار والقذف والزنا وانتشار الفساد بين بعض الأجهزة الحكومية والعاملين فيها لم تقم الأدلة على ارتكابها بأى طريقة من الطرق.

أتساءل هنا من الذى أشاع الرشوة والفساد بين أجهزة الحكومة أهو الحاكم والمسئولون أم هم أفراد الشعب الذين يتعاملون مع هذه الأجهزة ولهم مصالح خاصة ولهم أفعال مخالفة للشرع والقانون يريدون تحقيق الكسب من خلفها ويقدمون الإغراء لصغار الموظفين وجميع الموظفين من الذى يقوم بعمل الإغراء والإفساد أهو الحاكم أم المحكوم فيشيع المحكوم الفساد ويتهم الحاكم.

وحين بدأت الدولة الانفتاح الاقتصادى للتوسعة على الشعب وإيجاد فرص العمل وزيادة متوسط الدخل العام وإنعاش اقتصاد البلد ماذا حدث؟ قام بعض أفراد الشعب وبالأخص الذين يتهمون الدولة بالفساد باستيراد الأغذية غير الصالحة للاستعمال الآدمى والمنتهية الصلاحية والمصنعة للحيوانات وقدموها لأفراد الشعب ليحققوا من ورائها مكاسب طائلة بطرق غير شرعية والغش فى مواد البناء وخلافه كل هذا الغش والفساد والإفساد فعله المحكوم وطلب من الحاكم حمايته وحراسته حتى أن وصل الأمر إلى انصراف الناس إلى تحقيق هذه المكاسب بالانشغال كل الوقت عن أبنائهم وطالبوا الدولة بحماية أسرهم حتى وصل الأمر بأولياء الأمور أن طالبوا أجهزة التربية والتعليم بمسئولية تربية الأبناء بل ساءلوا هؤلاء عن انحراف أبنائهم فكيف يتسبب المحكوم فى الفساد بل يقوم هو بالإفساد لتحقيق المصالح الشخصية ثم يلقى بالتبعة على الحاكم.

وإذا كانت هذه الجرائم التى ترتكب فى الخفاء لأن الناس هم الذين يُخفون فكيف يقوم نظام عادل بتوقيع عقوبات على أفعال وجرائم لمجرد السماع وعدم إقامة الأدلة أليس فى هذا إشاعة للظلم والوشاية والنميمة وتفكك المجتمع وعدم الطمأنينة.

وبالنسبة لحديث النبى ﷺ عن تغيير المنكر لن أناقش فى أن التغيير مطلق للجميع فإنى مسلم بهذا ولكن لنفهم جميعا أن الرسول ﷺ يعنى هنا رؤية المنكر لا سماعه وأول من يرى المنكر هو فاعله لذلك عليه هو تغييره بيده لذلك قال الله تعالى:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(١).

والدولة فى تنفيذ هذا الحديث قد نفذته على إطلاقه إذ ينص القانون على حق المواطن العادى فى القبض على المتهم واقتياده للشرطة فى حال تلبسه بارتكاب جناية أو جنحة معاقب عليها بالحبس لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر وحالة التلبس هى الرؤية التى ذكرت فى الحديث فأين الكفر والفسق.

أسوق أخيرا هذا المثال فى التصرف فى تطبيق الأحكام الشرعية فى زمن الرسول ﷺ وهو فى سبب نزول آية الملاعنة فى قول الله تعالى:

﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله...﴾(٢).

وهذه الآية نزلت فى هلال بن أمية حين ذهب لبيته بعد العشاء فوجد رجلا مع أهله فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فقدم على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنى جئت على أهلى عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعينى وسمعت بأذنى فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار وقالوا قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة إلا أنه يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته فى الناس فقال هلال والله إنى لأرجو الله أن يجعل لى منها مخرجا وينزل الوحى بآية الملاعنة رحمة بالرجل لصدقه.

وقد ذكرت هذا الموضوع لأبين كيف كان رسول الله ﷺ يطبق هذا الحديث فى زمنه ويضع الشروط فلابد لمن يغير المنكر بيده حين يراه أن تكون معه البينة التى اشترطها الله فى هذه المعصية وإلا ما حق للإنسان فعل شىء وإلا وقع تحت طائلة العقاب؛ ذلك لأن التغيير أو إنزال العقوبات لا يكون بالهوى وإلا شاعت الفوضى والظلم.

---

(١) سورة الرعد ـ الآية ١١.

(٢) سورة النور ـ الآية ٦ تفسير ابن كثير.

ففى هذه القصة كاد الرسول ﷺ أن يقيم على الزوج حد القذف لولا أن أنقذه الله بالوحى ومع هذا لم يقم الحد على المرأة لأنها لاعنت كما أمر القرآن لدفع الحد عنها وقد آثرت أن تحل بها لعنة الله حتى لا تحط من كرامة أهلها.

وهذه القصة هى مثل لنا للتصرف فى هذه الأمور فى زمن النبى ﷺ وجب علينا تنفيذ أسلوبها فلا يعقل أن تأخذ الأمور وتجرم الأفعال وتقام الحدود بدون بينة، وإلا كان خروجا على الشرع وحكم الله ورسوله.

كيفية تعامل الجماعات:

نورد هنا بعض التصرفات التى أتوا بها ونطبق الشرع والعقيدة الصحيحة عليها ونرى:

١ - قام البعض بقتل الرئيس الراحل محمد أنور السادات فى يوم ٩ ذو الحجة، أى فى شهر من الأشهر الحرم المحرم فيها القتال فما حكم من أفتى بالقتل وأحل ما حرم الله.

٢ - وما حكم من أفتى بمحاولة اغتيال الرئيس محمد حسنى مبارك فى أديس أبابا فى شهر رجب وهو من الأشهر الحرم أيضا.

٣ - وما حكم من أفتى بقتل بعض الشخصيات على أساس الحديث النبوى بدون إقامة البينة.

٤ - وما حكم من قتل أنفسا بغير حق وهى الأنفس التى قتلت دون إعطاء أحد منهم حق الدفاع عن نفسه وحق النصح له والتوبة والرجوع.

٥ - وما حكم من قتل وأفتى بقتل أنفس بريئة من الشيوخ والشباب والأطفال بدون وجه حق وليس لهم شىء فى أى شىء لمجرد تواجدهم فى أماكن التخريب.

٦ - وما حكم من أسكت أفواها تقول لا إله إلا الله.

٧ - وما حكم من أبعد ناسا كانوا يريدون أن يقولوا لا إله إلا الله.

٨ - وما حكم من حفز أعداء الدين صد الدين ومن أساء إلى الإسلام وتعاليمه وأساء إلى الرسول ﷺ.

لو وجد أحد إجابة على هذه الأسئلة فليبينها لنا.

من شرح العقيدة الصحيحة عرفنا أن الله رحمانى الذات ورحمته تسبق غضبه لذلك فهو يعرض التوبة ويحض عليها بإثابة التائب والغفران له وإدخاله الجنة وذلك قبل أن يعذبه وهو الله القادر الذى له حق الإيلام والتعذيب بدون جرم سابق ولا ثواب لاحق والذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ومن عرض هذه التصرفات نجد أن بعضا من هؤلاء يسبق غضبهم كل شيء ولا تظهر لهم رحمة بل وأكثر من هذا فهم يأخذون الناس بغتة وبدون سبب أو بينة ولا حتى رحمة واستتابة فهم بذلك وضعوا أنفسهم فى مرتبة أعلى من الله والعياذ بالله.

لهذا يفر الناس من الدين ومن الشريعة ويتهم الناس الإسلام وهو من كل هذا براء يقنطون الناس بأفعالهم ويبعدونهم عن الإسلام فأين الدعوة يا أهل الدعوة لقد اضطررتم الناس إلى البعد عن الدين ومنهاج الله القويم فوقعوا فريسة لفكر عبادة الشيطان وعبادة النفس والهوى.

أين النصح والإرشاد

إذا كان المجتمع كله كافرا وعاصيا أين أنتم أيها الطائعون؟ أين كنتم وفكر عبادة الشيطان يستشرى؟ أين كان فهمكم للدين وحرصكم عليه غبتم عن هذا الخطر وتقاعستم وقامت الدولة بأجهزتها كلها وسهرت أعين الأمن لترصد وتتربص بأعداء الله وأعداء الدين حتى قضت عليه من جذوره، فأين أنتم من الدين ومن الدعوة ومن الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن العقيدة والشرع.

وإذا كان الأمر كما تدعون فلما لم تمدوا يا طائعون لهم يد المساعدة والوعظ والنصح لماذا استكبرتم على العصاة بطاعتكم ولم ترحموهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

لماذا استكبرتم بطاعتكم وتجبرتم بعبادتكم وقد علمتم قول الرسول ﷺ:

«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر».

ولنعلم جميعا أن العاصى ينشأ له بمجرد عصيانه حق فى ذمة الطائع وهو النصح والإرشاد والتبيين والاستتابة فقد يكون لا يعلم وقد يكون مُضَلَّلَ وقد يكون مشبَّهٌ عليه.

كما وأننا لو قرأنا القرآن الكريم لعلمنا أن جميع آيات الترغيب هى للعصاة ليتوبوا ويعودوا إلى الله أو الترغيب فى العفو والسماح، وأما آيات الترهيب فهى للطائعين لعدم الوقوع فى المعضية والمصرين على المعاصى لتخويفهم من سوء العاقبة.

ويجب على من يعلم ويعمل بالوعظ ويحمل الرسالة أن يفرق بين مختلف الأحوال. ورحم الله القائل:

مت مسلما ومن الذنوب لا تخف   حاشى المهيمن أن يرى تنكيلا

لو رام أن يصليك نار جهنم   ما ألهم قلبك التوحيد

وأخيرا فإنى أسجل حقيقة وهى:

من الذى تصدى لفكر عبادة الشيطان ولمن انقادوا وراء هذا الفكر ومن جاء به لبلدنا ومن الذى تعقب الخارجين على الدين ومن الذى جاهد وسهر الليالى ليجمع المعلومات ويمسك بكل الخيوط ومن الذى وقف يدافع عن الدين وعن العقيدة وعن البلد وعن شبابنا ومن الذى وقف يحارب الكفر والشرك بالله والارتداد عن دين الله.

ومن الذى أصدر القرار الحاسم والحازم أليس هو رئيس الدولة وأجهزة الحكم جميعها من شرطة ساهرة على أمن البلاد وحماية مقدساتها ودينها ورجال دين وعلماء دائبى الحركة فى الوعظ والإرشاد وأجهزة إعلام ورجال إعلام مرئى ومسموع ومقروء ووزراء ومسئولين ألم يشاهد كل منا أول نداء وجهه مذيع التلفزيون معلنا عن حملة قومية يشترك فيها كل أفراد الشعب لمواجهة هذا الخطر وكأنه يومها يعلن الجهاد المقدس.

أليست أجهزة الحكم هى التى تصدت لهذا التيار الجارف والذى هب على بلدنا عاصفا بكل القيم والمعتقدات بعد ذلك نتهم من يحارب الكفر والشرك ويحمى الدين ويجاهد لإعلاء كلمة لا إله إلا الله نتهمهم بالكفر.

قد ظهر الآن السبب واضحا جليا فليس هو الدين ولكن هو خطر يهدد الدين والبلاد من أعداء الدين.

وحمدا لله على الابتلاء بفكر عبادة الشيطان لأنه أيقظ الناس والضمائر وكان خير واقع للدفاع عن الدولة وأجهزة الحكم فيها بأنهم ضد الكفر والشرك وأنهم حماة الدين والعقيدة.

وحمدا لله على الابتلاء الذى ابتلينا به حين محاولة اغتيال رئيس البلاد فهو كان دفاع من الله سبحانه ليرى العالم أجمع وأعداء مصر بيعة الشعب لرئيسها وحكومتها وهى بيعة جاءت وليدة الموقف وليس التدبير.

ولكن هو الإنسان بكل أخطائه فالعيب هو فى المحكوم وليس فى الحاكم لأن كل منا ينظر لما فى يد غيره مخالفا بذلك ما أمر به الله. فالعيب ظهر فى المحكوم منذ انتقال الرسول ﷺ للرفيق الأعلى فلأن الاعتراض عليه أو تكذيبه أو اتهامه يكون كفرا لفعل الناس.

ولكن بعد انتقاله اتهم الناس الخلفاء الراشدين الأربعة بل كفروهم بل قتل المحكومون أعدل حكام الأرض سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى سمى الفاروق الذى فرق بين الحق والباطل والذى قيل عنه حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر فما كان من سيدنا عثمان رضى الله عنه والذى أتى بعده إلا أن يؤمن نفسه ضد غدر المحكوم فعين أهله ومن هنا بدأت نظرية أمن الحاكم والتى تفرض تعيين أهل الثقة قبل أهل الخبرة فمن الذى فعل هذا هو المحكوم وليس الحاكم ويؤيدنى فى هذا قول سيدنا على كرم الله وجهه حين سأله أحد الناس لِمَ اختلف عليك الناس ولم يختلفوا على أبى بكر رضى الله عنه قال قولته الشهيرة: أبو بكر كان يحكم مثلى وأنا اليوم أحكم مثلك.

المبحث الثالث

العلمانية ومادية العصر

وهى بفتح العين نسبة لعالم يدعى علمـا وهو لا يعترف بالله كخالق للكون يرد خلق المخلوقـات وإيجاد الموجودات إلى الطبـيعة والظواهر الـكونية وبذلك لا يعـترف بالأديـان وبالله ولا بالرسل الرسـالات ولا حتى الشـيطان الذى ذكـر فى القرآن.

وانتشـرت العلمانية بين البعض من العـلماء فى كل مكان لأنهم بدأوا طريق العلم بدون فهم سليم للعقيدة التى هى بالميلاد فكل يدين بدين آبائه فمن ولد لأب مسلم صار مسلما، ومن ولد لأب يهودى صار يهوديا، ومن ولد لأب نصرانى صار نصرانيـا، وأصبحنا ننتـمى إلى الإيمان بالميلاد ولا نعرف من الدين إلا اسـمه ومن الإيمان إلا اسمه ومن الكتاب إلا شكله ورسمه فلم يدرس أكـثرنا العقيدة وما هى ولا الدين وما هو ولا المنهاج وما ينص عليه. لم يعرف أكثرنا الله ولا الرسول ولا الرسالة تعلمنا قشورا عن مكونات العقـيدة وأصول الدين والأحكام الشرعية وهذا هو الفرق بيننا وبين السابقين فى الإسلام وفى الشرائع السابقة فالأمة الإسلامية كما سبق وبينا تكونت من كفار ومشركين وأهل كتاب درسوا العقيدة وفهموها وتجمعوا عليها فـتجمعوا على الإسـلام وعند ما تيقنوا تفانوا فى الجهـاد وفى الطاعة وعدم المعصية وفى الإيمان وعدم الشرك والارتداد وعرفـوا الدين حق معرفته فلم ينحرف أحد منهم ولم يضل ولم ينـل فكر أيا ما كان خارجـا عن العقيـدة من أحد منهم كلهم دأبوا على التفكر فى كتاب الله وفى آياته الكونية مهتدين فى ذلك بمنهاج الله فـوصلوا إلـى حـقـائق الأمـور وانطلقـت من عندهم أصـول العلـوم والمعـرفـة والاكتشافات وكانوا روادا للحضارات والثقافات عاملين بقول الله سبحانه:

﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى...﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾[2].

---

(١) سورة طه ـ الآية ١٢٣ (٢) سورة الأنعام ـ الآية ٣٨.

حتى أن سيدنا أبا بكر الصديق كان يقول لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله وهذا من شدة التيقن.

ولو تدبرنا كتاب الله لوجدناه يلفت النظر فى كثير من آياته إلى علوم عديدة وقوانين كونية ففى الآيات إشارة إلى هذه الظواهر لدراستها وبعد اكتشافها تدل هذه الإشارة إلى علم الله بأسرار الكون فيدل ذلك على أنه الخالق لأنه لا يعرف المخلوق إلا خالقه ولنا أمثلة نبين بعضها.

فالحياة تقوم أساسا على الحركة فآدم حين خلق كان جسدا من صلصال بدون حركة وعندما نفخ الله فيه من روحه وهبه الروح والحياة تحرك والحركة أساسها الطاقة والقدرة لذلك كان من أسماء الله الحسنى القادر ولو عرفنا أن قدرة الله لا نهاية لها إذن فسرعة أفعاله تكون بلا نهاية وهذا يؤدى إلى تلاشى الزمن لذا دائما ما تكون أفعال إرادته بين الكاف والنون لقوله سبحانه:

﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾[1].

وفى معجزة الإسراء والمعراج إشارة إلى هذا القانون وعلم الله به، وفى هذا دليل على إعجاز القرآن فالعجيب فى الرحلة أن زمنها ضئيل جدا بالنسبة لطول المسافة فى حين أنه لم توجد وقتها وسائل نقل سريعة ولكن حيث ثبت وقوع الحدث وهو الإسراء بمشاهدة بعض الناس له إذن لابد وأن تكون لا نهائية القدرة الإلهية قد توفرت ثم يكتشف العلم الآن هذا القانون:

المسافة = السرعة × الزمن.

ويستخدم هذا القانون مع الطاقة وزيادتها بسببها فتصل الطيارات والصواريخ فى الزمن الضئيل ليدلل ذلك على معرفة القرآن بكل هذا العلم وإشارته إليه وقوله سبحانه: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصّعد فى السماء﴾.

كلمة يصعّد حين تنطق بالتشديد يدل على أن الصعود إلى أعلا فيه مشقة والصدر الضيق يدل على قلة الأكسجين الذى يعطى الهواء النقى والدم النقى اللذين يعطيان الطاقة ويزيدان فيها أليس فى هذه الاية دليل على علم الله بجاذبية الأرض التى تقاوم الصعود وعلى قلة الأكسجين فى طبقات الجو العليا وفى تولد

---

(١) آخر سورة يس.

الطاقة من الدم الذى فيه خلاصة الغذاء والأكسجين وفيه إشارة إلى هذه العلوم الكونية ألا يؤدى هذا إلى التأكد من معرفة إعجاز القرآن والحرص على اتباعه وتصديق كل ما جاء به والبعد عن المادية وكيف تم اكتشاف قانون الجاذبية تم لسقوط التفاحة والتفكر فى سبب ذلك والذى أشار إليه القرآن.

وقوله سبحانه:

﴿قادرين على أن نسوى بنانه﴾[1].

فيه إشارة إلى وجود سر فى البنان يفيد الإنسان ومع هذا لعدم دراسة القرآن وتدبره تأخرنا مئات السنين فى اكتشاف بصمة الإنسان وأنها تميز الإنسان عن الآخر ولا يشترك اثنان فى واحد لذا نجد أن الواقع يؤكد ذلك فحين يحترق جلد بصمة الإصبع ويتآكل وتتقطع خطوط ودوائر البصمة بتقطع الجلد ماذا يحدث يخرج من نسيج اللحم لحم آخر يغطى الإصبع مرة أخرى وتشابك نفس دوائر البصمة وخطوطها مع بعضها مرة أخرى بقدرة الله فتعود البصمة التى تميز الإنسان عن غيره مرة أخرى بنفس الأوصاف والسمات أليس فى هذا دليل على علم الله بهذه الأشياء والأسرار وهذا دليل خلقه للأشياء وقد أشار فى القرآن إلى جميع هذه العلوم ألا يستوجب هذا اتباع القرآن وتدبره واعتباره المنهج الهادى لكل العلماء حتى لا يضلوا.

أليس فى معجزة انفصال الجبل إلى جزأين جامدين كل كالجبيل فى معجزة سيدنا موسى وتجمد المياه دليل على علم الله بعلوم تحويل السائل إلى مادة صلبة والمادة الصلبة إلى سائل وقانون الاستطراق المائى وإشارته فى الاية القرآنية إلى هذه القوانين ولكنا عن القرآن بعيدون وله غير متدبرون ومتفكرون.

وفى قوله سبحانه:

﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾.

وهذه الاية التى سبق ذكرها فى مبحث شرح العقيدة الصحيحة أليس فى هذه الآية إشارة إلى أن القمر نور أى هو معتم يضىء بغيره ويصف الشمس بأنها

---

(١) سورة القيامة - الآية ٤

سراج أى الشىء الذى يضىء ففى الآية إشارة إلى أن القمر معتم يضاء بغيره والشمس وهاجة تضىء غيرها وقد تم اكتشاف هذا. ألا يدل هذا على علم الله بأسرار كل المخلوقات ومن يعرف أسرار الأشياء إلا صانعها وخالقها وأليس فى هذا إشارة أيضا للذى يريد التدبر للقرآن على وجود هذه العلوم والعلوم الكونية كثيرة أكثر من أن تعد أو تحصى ولكن أين المتدبر أليس فى كل هذا دليل مادى على صدق الآية الكريمة:

﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾.

لذا فإن هذا يستوجب على الجميع دراسة القرآن وتدبر آياته وكلماته والاهتداء به فى كل مجالات العلم حتى لا يضل الإنسان ويصل إلى ما وصلنا إليه الآن.

وللأسف الشديد حين يصل بعض العلماء بالبحث والتنقيب إلى حقيقة من الحقائق الكونية الموجودة أساسا والمخلوقة لله ولعدم معرفتهم للعقيدة السليمة وعدم فهمهم للمنهج القرآنى لعدم الدراسة يظنون أنهم أوجدوا شيئا لا اكتشفوه، ويردون ذلك إلى إرادتهم وعلمهم وعقولهم والنقطة التى يضل عن طريقها الإنسان هو ظنه بأنه أوجد الشىء أو اخترعه لا أنه اكتشفه وهذا المفهوم هو مبنى على الجهل بالعقيدة.

لذلك فإنهم يردون الأشياء إلى عقولهم وعلمهم وبحثهم فيصلون إلى المادية والعلمانية ويردون كل شىء للطبيعة وللظواهر الكونية لذلك فإن دراسة ومعرفة ربوبية الله وتوحيد الربوبية أمر هام جدا لكثير من العلماء والباحثين وهام جدا لكل البشر كى لا يضل عن الطريق.

والعلمانية هى الفكر الذى أبعد الكثير من أهل العلم عن منهج القرآن وعدم الاهتمام بدراسة العقيدة ويستمر بعض من تناسل منهم على نفس المنهج والفكر لأنهم يستقون منهم وفى هذا كل الضلال.

وفى القرآن الكريم إشارة إلى العلمانية وتحذير منها حتى نعرف إعجاز القرآن وذلك فى قوله سبحانه فى سورة العلق:

﴿اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * كلا إن الإنسان ليطغى * أن رءاه استغنى إن إلى ربك الرجعى﴾[1].

وفى هذه الآية يعرفنا الله بأن الإنسان بعد أن يعلمه الله ما لم يعلم سيطغى ويستغنى بهذا العلم عن الله وبالأسباب عن المسبب وهو الله ويصبح قارونيا يقول إنما أوتيته على علم عندى وهذا ما حدث الآن من العلمانيين فهم طغوا واستغنوا بعلمهم عن الله المعلم ونسبوا المتكشفات العلمية إلى الظواهر الكونية كما أخبر الله من ١٤٠٠ عام قبل أن تحدث.

وقد شاعت فى الآونة الأخيرة عبارة عجيبة وهى أن الدين يؤدى إلى التخلف أصحح هنا المفهوم فالتقدم والتخلف يستلزمان وجود هدف محدد فالاقتراب منه يعتبر تقدما والابتعاد عنه يعتبر تخلفا ولنسأل أنفسنا ما الغرض من حياتنا إذا كان جمع المال والجاه والسلطان فقط وبدون النظر لأى شىء آخر. كأن فى الدين تخلفا وفى البعد عنه تقدما لأن الدين سلوكيات والسلوكيات ضد الماديات وإذا كان الغرض هو الفوز بالجنة ورضا الله كان فى اتباع تعليمات الدين تقدم وفى البعد عنه تخلف.

ولننظر كيف تقدمت دول أوربا فى كل شىء لأن شعوب هذه الدول نفذت بطريق الصدفة البحتة تعاليم وقواعد الإسلام لأنها اهتمت بالسلوك والدين هو السلوك وقد صورهم الإمام محمد عبده أن هناك إسلاما بغير مسلمين لذلك كان الدين هو أساس الحضارات مصدر الثقافات وعنوان العراقات.

وبعد اتضاح الأمور ليس أمامنا سبيل للإصلاح والنماء والحضارة والتقدم إلا أن نتدبر كتاب الله وسنة رسوله وأن نقتدى بهما وأن ندرسهما ليكونا لنا المنهاج الهادى والدرع الواقى فأساس الحركة والعمل والإنتاج هى الروح بها تحرك الجسد الهامد وإذا أخرجت من الجسد عاد إلى السكون والفناء وكلنا نعلم أن غذاء الروح العبادة فالعبادة إذن هى الدافع الأوحد للروح والحركة وللعمل وللإنتاج وللعلم وللسلوك.

(١) سورة العلق ـ الآيات ١ ـ ٤

المبحث الرابع

المناداة بمساواة المرأة بالرجل على الإطلاق

قد من الله على بنى آدم بأن خلق له من نفسه زوجة ليسكن إليها وكان ذلك لأبناء آدم لقوله سبحانه:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[1].

ولما كانت الاية تشير للسكن إلى المرأة لا عندها معناه لتكون هى نهاية المطاف والملاذ والسكن المنشود لا غيرها وجعل السبب للزواج هو السكن لوجود لام العلة هنا وجعل المودة والرحمة عطاء للزواج الذى يبنى على الأساس السليم لكن الرجل خان الأمانة وفرط فى آية الله ولم يحافظ عليها فظلم الزوجة وتزوج غيرها بدون مبرر وبدون تنفيذ عدل الله وقتر عليها ولما أقبل على الزواج لا للسكن ولكن لتكون خادمة له أو منفقة عليه أو معينة له أو غير قادر على الزواج عالما بذلك أو للتمتع بها فقط مخالفا بذلك الأساس الذى بنى عليه الزواج لم يكن له عطاء الزواج وهو المودة والرحمة فما كان منه إلا أن تحايل عند وجود الخلافات بدون رحمة وبدون عدل وجنى كثير من الرجال على كثير من النساء فباتت مطلقات بغير عائل ولا راع معرضات للفتنة والضياع والجوع والتشرد خاصة إذا ما كانت الزوجة مسنة ولما لم ينفذ شرع الله فيها ولنا فى المحاكم قصص وحكايات يندى لها الجبين وتشمئز منها النفوس أفسد الرجل المرأة والمجتمع وكم من قصص وروايات ومقالات تعرضت لهذا الظلم الذى تصدعت منه الجبال واهتزت له السماوات بدأت النساء وولاة أمورهن يفكرون فى تأمين المرأة ضد ظلم الرجل وتحول الزمن فبدأت الأقلام تنادى بتعليم المرأة من أجل هدفين الأول إعدادها لتكون مدرسة لأولادها والثانى لتعمل وتتسلح بالعلم لتؤمن نفسها ضد غدر الرجل. ومن ظلم الرجال القوامين كان مستصغر الشرر الذى نشبت بسببه النار التى أحرقت الأسر وأتت على المجتمع يابسه وأخضره.

(١) سورة الروم - الآية ٢١.

ولما خرجت المرأة للعمل أيدها الشرع فى هذا فالشرع يسمح بالعمل فى حالة الضرورة كما وردت فى القرآن الكريم فى قصة ابنتى شعيب مع موسى عليه السلام فى سورة القصص ولكن مع قسوة الحياة وزيادة متطلبات الإنسان وتطلعاته انخرطت المرأة فى العمل وزادت ساعات عملها وانشغلت بعملها عن أولادها وزوجها وبيتها ثم بعد أن تعدت المرأة مرحلة تأمين النفس والاطمئنان على مورد الرزق ورغد العيش والحياة تطلعت لما هو أكبر من ذلك ألا وهو إثبات الذات والمساواة مع الرجل فى كل شىء على الإطلاق، فطحنتها قسوة الحياة ودارت بها عجلة الزمن فلم تدر إلا وهى منصرفة تماما عن أمومتها ومملكتها ورسالتها الحقيقية فلا رسالة أشرف من الأمومة التى شرف الله بها زوجات النبى ﷺ وجعلهن أمهات المؤمنين وحين أوصى الله الأبناء بالوالدين كان بسبب الأمومة وليس بسبب الأبوة لقوله سبحانه:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾.

فكان سبب التكريم والتوصية هو الحمل والارضاع.

ولننظر كيف ضربت الصحابية الأمية أروع الأمثال فى دور الزوجة حين ظاهرها زوجها واشتكت للنبى ﷺ وأخبرها بأنها حرمت عليه قالت عباراتها الجميلة: (لى منه أولاد إن ضممتهم إلىَّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا).

انظروا للفكر الواعى والفهم الرائع لدور المرأة والزوجة وكيف نفكر لمجرد التفكير فى تسوية المرأة بالرجل على الإطلاق ولم يسو الله بينهما، فإن فى هذا اجتراء على الله سبحانه وتعالى فالله جعل للرجل ضعف ما للمرأة فى الميراث لقوله سبحانه: **﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**، كما جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل لقوله تعالى:

﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾[1].

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٢.

وقوله سبحانه:

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾[1].

ولم يكن عدم التسوية المطلقة من الله للتقليل من شأن المرأة بل لجعلها تتساوى مع الرجل ولكن التسوية هنا جاءت من الحق فالمرأة هى تحمل وتلد وترضع وتربى الأطفال والصبية وترعى الأسرة فى المنزل فكل هذا هو عبء عليها لذا كان لابد وأن تكون مشاركتها للرجل بالعمل لكسب العيش نصف مسئوليته حتى يتساوى الاثنان وإلا نكون قد ظلمنا المرأة أو حرمنا الأبناء من حقهم وعلى الرجل أن يعمل ضعف المرأة للمساواة أيضا.

لذلك كان لابد وأن تكون التسوية بين الرجل والمرأة بأسلوب منظم طبقا للشرع والعدل وليس على الإطلاق وفى إطار الإمكانيات البدنية المختلفة للاثنين واختلاف التكوين الفسيولوچى وقد أدت المساواة على الإطلاق وفى كل الأحوال إلى أن تعمل المرأة فى مجالات الرجل التى لا تناسب طبيعة تكوين المرأة ورسالتها فاستهلكت كل وقتها وجهدها وتفكيرها وأجهدتها وانشغلت حتى بمشاكل المجتمع ككل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفنية فلم يبق من وقتها وجهدها وتفكيرها لأبناءها شىء فظلمنا أطفالنا وصبياننا وشبابنا فما كان من إطلاق المساواة بين الجنسين إلا الأخذ من حقوق الأبناء.

وهذا ما حدث بالنسبة لفئة معينة من النساء اللاتى سعين لإثبات الذات والمساواة المطلقة بالرجال فنتج عنه أن تعذر عليها الجمع بين عملها وأمومتها فتركت الأطفال للحضانات وهم فى سن أحوج ما يكون لحنان الأم ورعايتها وأمانها فكيف الحال بجيل ينشأ من الطفولة بعيدا عن الأم والأب عن الأصل الذى ينتمون إليه وينمون به كيف الحال بجيل يتربى تحت رعاية المربيات والشغالات كيف يكون الانتماء عند جيل باعدنا بينه وبين أصل النماء علاوة على محاولة تعويض هؤلاء الأبناء بكثرة المال ورغد العيش وكماليات الحياة ونحن نعلم ما للمال من مفسدة.

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٣٤.

بسبب هذا كان العنف والشرك والتسيب والتطرف لحرمان الأطفال من حنان الأم ورحمتها التى تزرع الرحمة فى قلوب الأبناء.

ظلمنا بذلك المرأة لحرمانهـا من أمومتها ظلمنا الأبناء لحرمـانهم من أمهاتهم وظلمنا المجتمع ككل لأن الأسرة هى نواة المجتمع الذى يهتز باهتزازها.

وللأسف الشديد فإن جميع أولياء الأمور رغم كل هذا يلقون بالمسئولية على عاتق الدولة وأجهزة التربية والتـعليم والتى هى من صميم واجب الاباء والأمهات مثقلين بذلك كاهل الدولة كما لو كانت الحكومة هى التى أنجبت ومسئولة أن تربى وترعى حتى ورغم إلقاء العبء على أجهزة التربية والتـعليم فقد حملناهم مسئولية الآباء ولم نعطهم حـقوقـهم فى تربية الأبـناء بل وقفنا بالمرصـاد لجمـيع المدرسين وأضعـفناهم أمام الأبناء فـويل للمدرس لو ضـرب التلميـذ ليعلمه ويـربيه مع أن السلطة لا تملك مسائلة الأب لو حتى أصاب ابنه بالضرب.

إلى متى سنلقى بـالتبعة على الـدولة وإلى متى سنساءل الدولة عن صـميم واجبنا إلى متى سنظل مدللين تتحـمل عنا الدولة كل شيء. ولقد كان لهذا الفكر المنادى بالمساواة المطلقة وانصراف الأمهات كلية عن أبنائهن على ما حدث وما نحن فيه وما قد يستجد. لذلك وجب علينا أن نراجع أنفسنا وأن نعين المرأة على الجمع بين المسئـوليتين وأن تكتفى النسـاء بالعمل للحاجـة وللمساعدة فى كـسب القوت والرزق لا لإثبات الذات والمساواة المطلقة.

وبذلك تستطـيع الأمهات التـوفيق بين المسئـوليتين وإذا مـا نفذت المرأة هذا تساوت بالفعل مع الرجل بل فـاقته لأنها تعمل يومـا كاملا نصفه لعملهـا ونصفه لأولادها وزوجها، وهى بذلك تصنع العظام فكل العظماء مـن الرجال ما صنعتهم إلا أمهات لا رئيسات ولا وزيرات ولا عالمات، وصانع العظيم دائما هو أعظم من العظيم، ورحم الله شوقى القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق

ولنساء مصر جميعا أسوة حـسنة فى سيدة مصر الأولى السيدة الفاضلة التى ضربت بحسهـا الواعى وفكرها المستنير أروع الأمثال فى الدور الحقـيقى للمرأة فى

العالم أجمع حين كرست كل جهدها ومعظم وقتها لرعاية الطفل صحيا ونفسيا وذهنيا وفكريا وثقافيا بل وامتد اهتمامها بالبيئة التى يعيش فيها الطفل.

تحية للأم الحنون التى وقفت فى كل مؤتمرات العالم شامخة رافعة أعناق نساء مصر وهى ترعى الطفولة وتؤكد أهمية الأمومة فى بناء الأمم والحضارات والثقافات تحية من الأعماق لصاحبة الفضل والفضيلة والله على ما فى قلبى شهيد.

الخاتمة

نخلص من هذا البحث أن جنس الشيطان وابن آدم هم المكلفون فى الأرض وأن معصية الشيطان كانت فى العقيدة فكفر ثم يأس من رحمة الله وهو عصيان عقيدة فطرد أما آدم فكانت معصيته فى المنهج وبوسوسة من الشيطان فاعترف بذنبه ورجع إلى الله وتاب وأناب واستغفر فتاب الله عليه وأن الشيطان بدأ عداوته للإنسان لهذا السبب لذلك فهو يتحين بعد الإنسان عن العقيدة والمنهج ليوسوس مستغلا غفلته.

وأن عبادة الشيطان كانت فى البداية لعمل العقل بدون منهج يحدد فكره ويهذبه، وكانت بعد الرسالات والإيمان بالله لعدم معرفة العقيدة الصحيحة، والبعد عن منهج الله، وإطلاق الخيال بدون العقل والمنهج.

وقد كان لغياب الأسرة، ومادية العصر، والتيارات الفكرية المنحرفة أثر غير مباشر ومساعد لتواجد هذه العبادة.

لذلك فإنى أقترح الآتى لنحمى أنفسنا:

١ - العمل على محو الجهل بالعقيدة السليمة والتى هى الأساس للأحكام الشرعية والالتزام بالمنهج الإلهى والحرص على تنفيذه وذلك بمحاولة شرحها وترسيخها فى نفوس الناس من خلال المدارس والجامعات والمعاهد والمساجد وأجهزة الإعلام بجميع أنواعها والأندية والساحات الشعبية.

٢ - الاهتمام بالأسرة المصرية النواة الأولى للمجتمع والتى عليها العبء الأكبر والمسئولية الأولى وخاصة الأم التى من أساسيات رسالتها تربية النشئ وليكن بعمل برامج تلفزيونية ومجلات صحفية خاصة بالأسرة ومشاكلها وندوات فكرية للإرتقاء بمستوى الأباء عقديا وفكريا وتربويا للحفاظ على كيان الأسرة.

٣ - عمل جهاز رقابى يقوم على مراقبة كل الأعمال الأدبية والفنية والثقافية والأفلام والمسلسلات وخاصة المذاعة بالتلفزيون لضخامة الأعداد المشاهدة له وذلك لانتقاء الأعمال والألفاظ والعبارات والتصرفات التى تكون ملتزمة بالسلوك القويم والبعد عن الألفاظ والمعانى والعبارات الهابطة لرفع مستوى السلوك لا الهبوط به.

٤ ـ **فرض القيود اللازمة على أسلوب الواقعية المستحدث فى عرض الأعمال** الأدبيـة والفنية فليـست الواقـعيـة هى نشر السلـوك المنحرف، والبـعد تماما عن السلوكيـات الطيبة بانتـصار الأول على الآخر ولكن الواقـعية هى عـرض المشاكل المعاصـرة بموضوعيـة ومحـاولة حلها مع الإكثـار من الواقع الجمـيل ليكون قدوة للشباب المقلد لا إيثار الواقع الأليم على الجميل وإن لم نستطع وضع الحل الدنيوى لمشاكلنا فلنحـاول أن نشير إلى العقـاب الأخروى على المخالفات حتـى لا يتفشى الفساد والغش والعنف.

٥ ـ إيجاد قناة أو اثنتين بالتلفزيون مـتخصصتين فى عرض الأعـمال الأدبية والدينية والثقافية رفيعة المستوى من ندوات وحلقات فكر وأفلام ومسلسلات وذلك لتشـجيع المبـدعين وتمييـزهم وتمييـز أعمالهـم وحث الآخرين على الاقـتداء بهم والاستفادة وبالتالى برفع المستوى الثقافى السلوكى والعلمى والخلقى لأفراد الشعب والارتقاء بمستوى الكلمة واللفظ والتعبير والسلوك والضمير.

٦ ـ الحرص كل الحرص علـى لغتنا العربية والدالة على هويتنا والمـعبرة عن ثقافتنا وتراثنا وجذورنا فـهى الحافظة لكياننا، وذلك بتعميم استخدامـها واستخدام اللغات الأجنبية فى مواضع استخدامها فهى جاءت لتخدمنا لا لنخدمها.

٧ ـ مد يد المساعـدة للمرأة المصرية العاملة كى تستـطيع أن توفق بين عملها وأسرتهـا وليعلم الجميـع أن دور المرأة كأم ورسالتهـا الساميـة فى تربية النشئ هى أعظم الرسـالات فالذى صنع العظمـاء الذين بنوا الأمم والحـضارات هن أمـهات عظيـمـات ويوم أن غابت الأمـومـة أفلت الدول وغـابت الحـضارات وانحـدرت الثقافات، ونشأ العنف والإرهاب والقتل والتطرف لغياب الحنان والرحمة لذا كانت التوصية بصلة الرحم لا بصلة العصب.

لذلك لابد وأن نوفر للمرأة نـوع العمل الذى يتناسب مع الحالة الاجتمـاعية للأسرة فالمرأة التى لها أطفال غير التى لها شباب غير التى لها رجال غير التى ليس لها أبناء فالمرأة هى مـيزان المجتمع فـإذا أصاب رسالتها ودورها خلل اخـتل ميزان المجتمع كله وانهار الأساس والبنيان.

٨ ـ وليعلم الآباء أن رجال المستقبل وقادة أمتنا وصانعي مستقبلنا وحافظي ماضينا لا يصنعون بالتدليل ورغد العيش ولين الحياة وتوفير المستطاع وغير المستطاع ولكن يصنعون بالجهد والعرق والمشاركة فى حل المشكلات وتحمل المسئولية ففاقد الشيء لا يعطيه ومن لم يشارك حتى فى تحمل مسئوليته فكيف يتحمل مسئولية أمة بأسرها.

وليخفف كل منا العبء عن الدولة ولا نثقل كاهلها ونعطها الفرصة للانطلاق لما هو أهم وأعظم.

واذكر نفسى والجميع بقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

صدق الله العظيم

وقول رسوله الكريم ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

تم بحمد الله وتوفيقه فى غرة ذى القعدة سنة ١٤١٧هـ الموافق العاشر من شهر مارس سنة ١٩٩٧م.

فهرس الكتاب

رقم الإيداع	٩٧ / ٥٢٠٣
الترقيم الدولى I. S. B. N.	977 - 10 - 991 - 5



يعالج هذا الكتاب

الموضوعات الآتية:

الفكر الحلاجى الصوفى المنحرف.

الفكر الدينى المتطرف.

العـــوامل التى أدت إلى عـــبـادة الشيطان.

تنظيم فكر مساواة المرأة بالرجل.

كيـفيـة حمـاية شبـابنا من الفكر المنحرف.

مؤلف الكتاب

فتحى إبراهيم منصور عطية

* لواء شرطة بالمعاش
* بكالوريوس علوم شرطة سنة ١٩٦٤
ليسانس حقوق عين شمس سنة ١٩٦٤.
* دراسات عليا علوم جنائية ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠.
* يقـوم بعـــمل دراســات فى العقيدة والفلسفة.